

جامعة مؤتة
عمادة الدراسات العليا

التوجيهات الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية لقراءة يزيد بن قطيب الشامي

أعداد الطالب
عبدالمجيد السوالقة

إشراف
الأستاذ الدكتور عبد القادر مرعي الخليل

رسالة مقدمة إلى عمادة الدراسات العليـــــــا
استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير
في اللغــة والنحو قسـم اللغة العربيــة وآدابهـا

جامعة مؤتة، 2012

الإهداء

أهدي هذا العمل العلمي إلى:

أحب الناس إلى قلبي، وأعزهم على نفسي، فمنهم أستمد طاقتي، وبعزهم أسير ناجحاً في حياتي...

إلى روح والدي الكرام...

إلى أبنائي وبناتي فلذات كبدي...

إلى رفيقة الدرب... وشريكة العمر...

إلى الإخوة والأخوات المحبوبين...

إلى كل هؤلاء أهديهم هذا الجهد العلمي المتواضع.

عبد المجيد السوالقة

الشكر والتقدير

أشكر ا الذي أعطاني القوة من عنده كي أصل إلى هذه النتيجة الطيبة، فهو المتفضل علي، وله المنة والحمد.

وأشكر بعد ا تعالى أستاذي الجليل، وشيخي الكريم، الأستاذ الدكتور: الذي تفضل علي بقبول الإشراف على هذه الرسالة أولاً، ثم تفضل وتكرم علي بأن أرشدني وأعطاني من علمه الغزير، ووجهني التوجيه السليم القويم، فهو المستحق للشكر والثناء بعد ا تعالى.

ولا يفوتني أن أشكر أعضاء لجنة المناقشة الكرام على ما تفضلوا بقراءة هذه الرسالة، ولا بد لي من الأخذ بآرائهم السديدة، وأفكارهم الرشيدة، فهم قادة العلم، وبهم تنار الدروب.

وأخيراً أشكر كل من ساعدني من أبنائي، وأصدقائي في هذه الرسالة، وكل من أشار علي بالمشورة الحسنة، والحمد رب العالمين.

عبد المجيد السوالقة

فهرس المحتويات

الملخص

التوجيهات الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية في قراءة يزيد بن قطيب الشامي

عبد المجيد السوالقة

جامعة مؤتة، 2012

تتناول هذه الدراسة واحدة من بين القراءات التي لم تحظَ بدراسة مـن قبـل، وهذه القراءة هي قراءة يزيد بن قطيب الشامي، والتي ارتأيت أن أدرسها دراسـة صوتية وصرفية ونحوية ودلالية، ولقد قسمت هذه الدراسة إلى خمسة فصول كمـا يلي:

الفصل الأول: وتحدثت فيه عن القراءات القرآنية من حيث المفهوم والعـدد، وتعريف القراءة الصحيحة، والقراءة الشاذة، كما تحدثت عن تعريف يزيد بن قطيب من حيث أسمه ونسبه وأهم شيوخه،وتلاميذه.

الفصل الثاني: وتناولت فيه الحديث عن التوجيهات الصوتية في قراءة يزيد بن قطيب الشامي، من حيث الاتباع، والمماثلة الصوتية والمخالفة الصوتية.

الفصل الثالث: وتحدثت فيه عن التوجيهات الصرفية والنحوية في قراءة يزيـد بن قطيب من حيث أبواب الصرف المختلفـة؛ المـصادر والمـشتقات، والزيـادة والحذف، وأبواب النحو المختلفة: المرفوعات، والمنصوبات، والمجرورات، وغيرها من قضايا النحو المختلفة.

الفصل الرابع: وتحدثت فيه عن التوجيهات الدلالية لقراءة يزيـد بـن قطيـب الشامي، وما هي تحولات الدلالة من خلال قراءة يزيد بن قطيب.

الفصل الخامس: وتحدثت فيه عن النظائر اللغوية لقراءة يزيد بن قطيب، هـذه النظائر التي تعد حجة للقراءة، وتشير إلى أن القراءة مستعملة في لغة العرب.

وأخيراً أوجزت ما توصلت إليه من نتائج في خاتمة أتبعتهـا ثبتـاً للمـصادر والمراجع التي عدت إليها في هذه الدراسة.

Abstract

The Vocal, Morphological, Syntactic and Semantic Guidance in Yazeed Ibn Quteib Al-Shami's Reading

Abdulmajid Alsawalgah

Mut'ah University, 2012

This study deals with one of the reading that has not been studies before, this reading was to Yazeed Ibn Quteib Al-Shami.

The researcher suggested to study the vocal, morphological, syntactic aspects of this reading, and I have divided this study into five chapters as the following:

Chapter one: I talked about reading in terms of concept and number to identify the correct reading and irregular reading, also the researcher addressed who is Bin Quteib and who were the most his famous teachers and students.

Chapter two: The researcher addressed the vocal guidance for Yazeed Ibn Quteib Al- Shami's reading, in terms, to be followed, vocal corresponding and misfit.

Chapter three: The researcher talked about the morphological and grammatical guidance Yazeed Ibn Quteib reading terms of different sections of morphology; source, derivatives, the increase and deletion , and different sections of syntax: Indicative mood (Almarfo'at), subjunctive (Mounsobat), and Prepositional(Almajrorat), also there are different sections issues that are related to syntax.

Chapter four: The researcher talked about semantic guidance about read Yazeed Ibn QuteibAl_Shami,what are the significant transformations through his reading.

Chapter five: The researcher talked about linguistic isotopes to in Yazeed Ibn Quteib reading, these isotopes, which are an argument for reading, which indicates to that was used in the language of the Arabs.

Finally, the researcher summarized the findings at the conclusion of which the bibliography that was followed by sources and references that the researcher to in this study.

المقدمة:

الحمد الذي أعطى فأجزل، وهدى وأضلّ، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين محمد بن عبد ا ، عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، وبعد:

فلقد تناولت هذه الدراسة الحديث عن قراءة يزيد بن قطيب الشامي، مـن حيـث توجيهاتها صوتياً، وصرفياً، ونحوياً، ودلالياً، علاوة على الحديث عن نمـاذج مـن النظير الاستعمالي لقراءة يزيد بن قطيب.

وتكمن أهمية هذه الدراسة في أنها تحاول الكشف عن المعالم اللغوية المختلفة في قراءة يزيد بن قطيب، كما وتتناول كافة المستويات اللغوية الظاهرة في هذه القراءة، وتحاول أن تبحث في أصول تلك القراءات اللهجية، وإلى أي قبيلة قد تنتمـي تلـك القراءة، فمن الأمور المهمة في القراءات القرآنية أنها بيئة خصبة للهجات العربيـة القديمة، ولا يمكننا الكشف عن هذه اللهجات إلا من خلال دراسة تلك القراءة.

وتهدف هذه الدراسة بداية إلى جمع القراءات التي وردت عن يزيد بـن قطيـب الشامي، ثم تهدف بالدرجة الثانية إلى توجيه تلك القراءات وفق مستوياتها المختلفة، وتبيين الأصول والوجوه اللغوية المحتملة فيها، خصوصاً أن ابن الجـزري اعتمـد شرط موافقة العربية في وجه من وجوهها لاعتبار القراءة قراءة صحيحة.

وتحاول هذه الدراسة الإجابة عن الأسئلة الآتية:

1. ـ إلى أي نوع من القراءة ينتمي يزيد بن قطيب الشامي؟
2. ـ ما التوجيهات الصوتية لقراءات يزيد بن قطيب الشامي؟
3. ـ ما التوجيهات الصرفية والنحوية لقراءات يزيد بن قطيب الشامي؟
4. ـ ما التوجيهات الدلالية لقراءات يزيد بن قطيب الشامي؟
5. ـ ما هي القراءات التي انفرد بها هذا القارئ؟
6. ـ ما مدى ظهور المستويات اللغوية في قراءة يزيد بن قطيب؟
7. ـ هل كان ليزيد بن قطيب قراءات شاذة؟ وكيف يمكننا أن نتعامـل مـع تلـك القراءات إن وجِدت؟

وسيقوم الباحث بجمع قراءات يزيد بن قطيب الشامي من كتـب القـراءات، ثـم سيقوم بتصنيفها وتبويبها صوتياً وصرفياً ونحوياً ودلالياً، ومن ثم سيقوم بتحليل هذه

القراءات وتوجيهها حسب المستويات اللغوية السابقة، متبعاً المنهج الوصفي التفسيري.

ولقد قمت بتقسيم الدراسة إلى مقدمة وخمسة فصول وخاتمة: أما المقدمة فذكرت فيها عنوان الدراسة، وأهميتها، وهدفها، ومشكلتها، ومنهجها، وبيان فصولها.

أما الفصل الأول فتحدثت فيه عن يزيد بن قطيب من حيث ولادته، واسمه، وحياته، وأخلاقه وصفاته، ووفاته.

أما الفصل الثاني فتحدثت فيه عن التوجيهات الصوتية في قراءة يزيد بن قطيب الشامي.

وأما الفصل الثالث فتحدثت فيه عن التوجيهات النحوية والصرفية في قراءة يزيد بن قطيب.

أما الفصل الرابع فجعلته للحديث عن التوجيهات الدلالية في قراءة يزيد بن قطيب.

أما الفصل الخامس والأخير فتحدثت فيه عن النظير الاستعمالي في قراءة يزيد بن قطيب، حيث وجدت نظائر من القراءات القرآنية، ومن كلام العرب النثري، ومن كلام العرب الشعري.

وأخيراً أسأل ا سبحانه وتعالى أن يجعل هذا العمل في ميزان حسناتي، وا ولي التوفيق، والحمد رب العالمين.

الفصل الأول
القراءات القرآنية

سيناقش هذا الفصل الحديث عن القراءات القرآنية من حيث عددها، وتعريفهـا، والمفاهيم الخاصة بها، علاوة على الحديث عن يزيد بن قطيب الشامي، من حيـث حياته ونسبه وشيوخه، وتلاميذه، وغير ذلك من أموره، وهو ما سنبدأ به هذا الفصل بإذن ا تعالى.

1.1 يزيد بن قطيب الشامي:

هو يزيد بن قطيب السكوني الشامي، ثقة. له اختيار في القراءة ينـسب إليـه[1]، ويكنى بأبي بحرية[2]، وكما ينسب يزيد بن قطيب إلى مدينة حمص في بلاد الشام[3].

ولم تذكر المراجع تاريخاً لولادة يزيد بن قطيب الشامي، وكذلك الأمر في تاريخ وفاته، إذ ذكر الذهبي أنه توفي بين عامي 111 ـ 120هـ، وذلك دون أن يحـدد تاريخاً واضحاً لوفاته[4].

ويظهر لنا من خلال ما ذكره الذهبي أن يزيد بن قطيب قد كان من أعلام القـرن الأول الهجري، وإن كان قد أدرك القرن الثاني، غير أنه توفي في بداية القرن، ولم يطل العيش فيه.

---

1. ابن جني، أبو الفتح عثمان (1999م). **المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنهـا**، وزارة الأوقاف، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية. ج: 2، ص: 147.
2. ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد (1973م). الثقات، طُبع بإعانة: وزارة المعارف للحكومة العالية الهندية، تحت مراقبة: محمد عبد المعين خان، دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد ـ الهند، ج: 5، ص: 544.
3. ابن الزكي، أبو الحجاج يوسف بن أحمد بن يوسف (1980م). تهذيب الكمال في أسـماء الرجـال، تحقيق: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى، ج: 32، ص: 227.
4. انظر: الذهبي. أبو عبد ا محمد بن أحمد شمس الدين (1993م). تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: عمر عبد السلام التدمري، دار الكتاب العربي، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثانية، ج: 3، ص: 340.

ولقد كان يزيد بن قطيب أحد القراء، وأحد الذين كان لهم اختيار في القراءة، ولم يكن قارئاً فحسب[5]، وهذا يعني أنه كان على مرتبة عالية من العلم والدراية باللغـة وعلوم القرآن الكريم الأمر الذي جعله قادراً على الاختيار من بين القراءات.

2.1 صفاته وأخلاقه:

لم تذكر المصادر كثيراً عن صفاته رحمه ا تعالى، ولا عن حياته، بـل كـان حديثهم عنه مجرد ذكر لاسمه وبعض شيوخه وتلاميذه، دون التطرق إلـى صـفاته المميزة له.

ولقد كان يزيد بن قطيب ثقة عدل، تؤخذ عنه القراءة، ويسمع منه القرآن، وكفى بهذا الخلق خلقاً[6]، والثقة من الرجال يتوجب أن تتـوافر فيـه العدالـة، والـصدق، وسرعة البديهة، وقوة الحفظ، ولا يسمى الرجل ثقـة إلا بتـوافر هـذه الـصفات واجتماعها فيه.

ولا شك أن قارئاً يروي القرآن الكريم، وينقل عنه كثير من التلاميذ أنـه كـان متصفاً بصفات المؤمن الحق، سواء فيها الصفات الأخلاقية، أم الصفات العقائديـة، فهو لم يكن ثقة إلا لكونه صادقاً يؤمن كذبه، ولا يطعن في كلامـه، عـلاوة علـى الورع والتقوى التي يتوجب عليه أن يتصف بها.

3.1 شيوخه:

تلقى ابن قطيب العلم والقراءة عن عبد ا بن قيس المكنى بأبي بحرية، ولقد كان عبد ا بن قيس تلقى العلم هو أيضاً على يدي صحابي جليل معروف بعلمه وورعه وتقواه، وهو معاذ بن جبل رضي ا تعالى عنه[7].

ولقد كان أبو بحرية يتصف بالتقوى والورع، وهو في الرجال من الثقـات،

---

[5]. ابن جني. المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات، ج: 2، ص: 147.

[6]. ابن حبان. الثقات، ج: 5، ص: 544.

[7]. ابن جني. المحتسب، ج: 2، ص: 147.

وهو أيضاً من أهل الشام[8].

شهد خُطبة الجابية، وحدث عن معاذ، وأبي هريرة، ومالك بن يسار.

روى عنْه: خالد بن معدان، وضمرة بن حبيب، ويزيد بن قطيب، ويونس بن ميسرة، وأبو بكر بن أبي مريم وغيرهم. أدرك الجاهلية ووثقه ابن معين وغيره، وفي لقـي ابن أبي مريم له نظر[9].

ولم تذكر المصادر غير عبد ا بن قيس شيخاً ليزيد بن قطيب الشامي.

4.1 تلاميذه:

لقد تتلمذ على يدي يزيد بن قطيب الشامي عدد من طلبة العلم، ومنهم مـن لـه اختيار في القراءة، وفيما يلي سنذكر أهمهم:

1. الوليد بن سفيان بن أبي مريم[10].
2. يحيى بن عبيد أبو زياد[11].
3. صفوان بن عمرو الحمصي السكسكي[12].
4. أبو البرهسم عمران بن عثمان الزبيدي[13].
5. أبو إبراهيم الكلبي[14].

---

8. ابن أبي حاتم. أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس (1952م). الجـرح والتعـديل، دائـرة المعارف العثمانية، حيدر أباد ـ الهند، ودار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولـى، ج: 5، ص: 138.

9. الذهبي. تاريخ الإسلام، ج: 2، ص: 1023.

10. البخاري. التاريخ الكبير، ج: 8، ص: 145.

11. البغدادي. أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت (1997م). المتفق والمفترق، دراسة وتحقيق: محمد صادق آيدن الحامدي، دار القادر، دمشق ـ سوريا، الطبعة الأولى، ج: 3، ص: 2053.

12. ابن الزكي. تهذيب الكمال في أسماء الرجال، ج: 32، ص: 227.

13. الذهبي. أبو عبد ا محمد بن أحمد شمس الدين (1408هـ). المقتنى في سرد الكنى، تحقيق: محمد صالح عبد العزيز المراد، المجلس العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة ـ السعودية، الطبعة الأولى.ج: 1، ص: 106.

14. الذهبي. تاريخ الإسلام، ج: 3، ص: 339.

6. حريز بن عثمان[15].
7. زيد بن أنيسة[16].

هؤلاء هم أهم تلامذة يزيد بن قطيب، والذين ذكرتهم المصادر والمراجع في تراجم الرجال، وهؤلاء التلاميذ يشير عددهم إلى كثرة تلاميذ يزيد بن قطيب، وغزارة ما عنده من العلم.

5.1 وصف عام لقراءة يزيد بن قطيب الشامي:

إن قراءة يزيد بن قطيب الشامي ليست من القراءات السبعية، ولا العشرية، إذن فهي بهذه الصفة من القراءات الشاذة، أي التي لا يصح التعبد بها، غير أن الظواهر اللغوية الواردة فيها ظواهر لها مكانها في الدراسة اللغوية، إذ هي تشير إلى نواحٍ لغوية قد اختفت من غيرها من نصوص اللغة.

وقراءة يزيد عموماً ليست ذات حجم كبير، أو مساحة شاسعة، بل هي قليلة الاختيارات، ولا ينفرد يزيد بن قطيب إلا في عدد قليل من مواضع القراءات، مما يجعل هذه المواضع مدار الدرس والبحث.

ولقد احتوت قراءة يزيد بن قطيب على مظاهر صوتية، وأخرى صرفية، وثالثة نحوية، ورابعة دلالية، علاوة عن ما فيها من نظائر لغوية، وهذه النواحي والمظاهر سنتطرق للحديث عنها في الفصول القادمة بإذن الله تعالى.

وبعد هذا الحديث المفصل عن يزيد بن قطيب سننتقل الآن للحديث عن فحوى هذا الفصل، وهذا يتمثل بالحديث عن القراءات القرآنية.

6.1 القراءة القرآنية:

يفترض بنا قبل أن نتحدث عن قراءة يزيد بن قطيب أن نمهد لهذا الحديث بالحديث عن القراءات القرآنية، وتفصيل الكلام في أمور تتعلق بالقراءة القرآنية،

---

15. العسقلاني. أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد (1996م). تعجيل المنفعة بزوائد الأئمة الأربعة، تحقيق: إكرام الله امداد الحق، دار البشائر، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ج: 2، ص: 359.

16. المرجع نفسه.

كالتعريف بها، وبيان عددها، وكيفية حديث العلماء عنها، وهذا كله سنتناوله بإذن ا تعالى في ما تبقى من هذا الفصل.

1.6.1 القراءة لغة:

يتحدث لنا ابن منظور عن معنى القراءة في اللغة، فيشير إلى أنها بمعنى الجمع والضم، فالقرآن سمي بهذا الاسم لأنه يضم السور بعضها إلى بعض، يقول في هذا المعنى: "وقَرَأْتُ الشيء قُرآناً: جمعتُه وضممتُ بعضه إِلى بعض[17]. ومِنْه قَـولُهم: ماقَرَأَتْ هذِهِ الناقةُ سلى قَط، وما قَرَأَتْ جنيناً قط. أَي لم يضطَم رحِمها على ولـد... ومعنَى قَرَأْتُ القُرآن: لفَظْت بِهِ مجموعاً أَي أَلقيته"[18].

فالمعنى اللغوي يرتكز على الجمع، فمنه القرآن، والقـراءة، إذ تُجمـع الـسور بعضها إلى بعض، فيكون بذلك معنى الجذر ظاهر.

2.6.1 معنى القراءة في الاصطلاح:

وبعد أن ذكرنا المعنى اللغوي للقراءة، يحسن بنا أن نقدم معناها في الاصـطلاح الشرعي، أو قل بعبارة أخرى في الاصطلاح العلمي، حيث تشير كتب علوم القرآن إلى أن معنى القراءات علم بكيفيات أداء كلمات القرآن واختلافهـا بعـزو الناقلـة. وقولهم: كلمات القرآن: أي كلمة كلمة من أول القرآن إلى آخره، ببيان مـا ينـدرج تحت قاعدة عامة، وما هو حالة خاصة. مثل السكوت اللطيف علـى عِوجـاً مـن الكهف، وقولهم: بعزو الناقلة: أي أن هذا العلم ثابت بالنقل الثابت المتواتر عن النبي صلى ا عليه وسلم، لا مصدر له سوى النقل والتلقين الشفاهي، والمقرئ: العـالم بالقراءات، الذي رواها مشافهة بالتلقي عن أهلها إلى أن يبلغ النبي صلى ا عليـه وسلم، فلو حفظ كتاب «التيسير» في القراءات مثلا فليس له أن يقرأ بما فيه إن لـم

---

17 ابن الجزري. شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد بن يوسف (1999م). منجد المقرئين ومرشد الطالبين، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى.

18. ابن منظور. أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي (1414هـ). لسان العرب، دار صادر، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثالثة.ج: 1، ص: 128، الجذر: قَرَأَ.

يشافهه من شوفه به مسلسلا، لأن في القراءات أشياء لا تحكم إلا بالسماع والمشافهة[19].

ويظهر لنا من خلال كلامنا السابق معنى القراءة في الاصطلاح، حيث يقصد بها النقل والمشافهة من شخص إلى شخص حتى الوصول إلى النبي الكريم ـ صلى ا عليه وسلم ـ، وبهذا النقل تتم عملية المشافهة.

ومن خلال المعنيين اللغوي والاصطلاحي يمكننا أن نجد شيئاً من الترابط بين هذين المعنيين، إذ إن المعنى اللغوي يشير في عمومه إلى الجمع والضم، في حين أن المعنى الاصطلاحي يشير إلى النقل والمشافهة، وهذا النقل إنما هو في حقيقة الأمر جمع وضم للقراءة أو الحرف القرآني بعضه إلى بعض، ومن هنا يظهر لنا الرابط بين المعنيين.

3.6.1 أقسام القراءات:

تنقسم القراءات إلى عدد من الأقسام، منها ما كان حسب العدد، ومنها ما كان حسب الصحة، ومنها ما كان حسب الرواة.

وتنقسم القراءة حسب العدد إلى سبعية، وعشرية، وأربع عشرية، فأما القراءة السبعية فهي المنسوبة لواحد من القراء السبعة الأوائل، وهم:

1. ابن كثير المكي.
2. نافع المدني
3. ابن عامر اليحصبي الشامي.
4. أبو عمرو بن العلاء.
5. عاصم بن أبي النجود.
6. حمزة بن حبيب الزيات.
7. الكسائي الكوفي[20].

---

19. الحلبي. نور الدين محمد عتر (1993م). علوم القرآن الكريم، مطبعة الصباح، دمشق ـ سوريا، الطبعة الأولى. ص: 146.

20. انظر مثلاً: ابن خالويه، أبو عبد ا الحسين بن أحمد (1401هـ). الحجة في القراءات السبع، تحقيق: عبد العال سالم مكرم، دار الشروق، بيروت ـ لبنان، الطبعة الرابعة، ص: 61.

وأما القسم الثاني للقراءة حسب العدد فهي القراءات العشر، والمقصود بها القراءات السبع مزاداً عليها ثلاث قراء ليكملوا على هذا النحو عشرة، والثلاثة الذين زيدت قراءتهم هم:

8 . يزيد بن القعقاع أبو جعفر.

9 . يعقوب البصري.

10 . خلاف البزار، فبهم تتمة العشرة[21].

والأمر ذاته ينطبق على القراءات الأربع عشرية، فهي القراءات العشر مزاداً عليها أربع قراءات أخرى لكل من:

11 . الحسن البصري.

12 . ابن محيصن.

13 . يحيى اليزيدي.

14 . سليمان بن مهران الأعمش[22].

أما القراءة من حيث رواتها، فهي إما أن تكون قراءة متواترة، أو أن تكون قراءة آحاد، فالقراءة المتواترة كل قراءة وافقت العربية مطلقا، ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو تقديرا وتواتر نقلها، هذه القراءة المتواترة المقطوع بها. ومعنى "العربية مطلقا" أي ولو بوجه من الإعراب... ونعني بالتواتر ما رواه جماعة كذا إلى منتهاه يفيد العلم من غير تعيين عدد؛ هذا هو الصحيح، وقيل بالتعيين واختلفوا فيه فقيل ستة وقيل اثنا عشر وقيل: عشرون، وقيل: أربعون، وقيل: سبعون والذي جمع في زماننا هذه الأركان الثلاثة هو قراءة الأئمة العشرة التي أجمع الناس على تلقيها بالقبول[23].

---

21. الحسن. محمد علي (2000م). المنار في علوم القرآن الكريم مع مدخل في أصول التفسير ومصادره، قدم له: محمد عجاج الخطيب، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ص: 132.

22. الحسن. المنار في علوم القرآن، ص: 132 - 133.

23. ابن الجزري. منجد المقرئين، ص: 18.

أما قراءة الآحاد فهي ما كان راويها رجل واحد، وهي تعد في بـاب القـراءات الشاذة.

وتنقسم القراءة أيضاً حسب الصحة والشذوذ إلى قسمين:

فأما القراءة الصحيحة فهي على قسمين: الأول ما صح سنده بنقل العدل الـضابط عن الضابط كذا إلى منتهاه، ووافق العربية والرسم، وهذا على ضـربين: ضـرب استفاض نقله وتلقاه الأئمة بالقبول كما انفرد به بعض الرواة، وبعض الكتب المعتبرة أو كمراتب القراء في المد ونحو ذلك، فهذا صحيح مقطوع به أنه منزل على النبـي -صلى ا عليه وسلم- من الأحرف السبعة كما نبين حكم المتلقي بـالقبول، وهـذا الضرب يلحق بالقراءة المتواترة، وإن لم يبلغ مبلغها... وضرب لـم تتلقـه الأمـة بالقبول ولم يستفض؛ فالذي يظهر من كلام كثير من العلمـاء جـواز القـراءة بـه والصلاة به، والذي نص عليه أبو عمرو بن الصلاح وغيره أن مـا وراء العـشرة ممنوع من القراءة به منع تحريم لا منع كراهة... والقـسم الثـاني مـن القـراءة الصحيحة ما وافق العربية وصح سنده، وخالف الرسم كما ورد في صـحيح مـن زيادة ونقص وإبدال كلمة بأخرى، ونحو ذلك مما جاء عن أبي الدرداء وعمر وابن مسعود وغيرهم، فهذه القراءة تسمى اليوم شاذة؛ لكونها شذت عن رسم المـصحف المجمع عليه، وإن كان إسنادها صحيحا فلا تجوز القراءة بها لا في الصلاة، ولا في غيرها[24].

وبهذا الحديث نكون قد تبين لنا أن قراءة يزيد بن قطيب الـشامي ليـست مـن القراءات السبع، ولا من العشر، ولا من الأربعة عشرة، فهي إذن مـن القـراءات الشاذة في وجهها العام، غير أن بعض مواضعها من القراءة الـصحيحة، إذا كـان رسم المصحف لم يتغير، وصح النقل بالعدل عن العدل، وكان لها وجه في العربية.

4.6.1 مفهوم توجيه القراءة:

يطلق مصطلح توجيه القراءة في علوم القرآن الكريم على ما يبحثـه العـالم أو الباحث في القراءة من وجه لها في العربية، فتوجيه القراءة يختص بإيجاد وجه لهـا

---

[24]. ابن الجزري. منجد المقرئين، ص: 18 ـ 19.

في اللغة العربية، وذلك كي تكون مقبولة في نقلها، وكي تتوافق مع الشروط التي وضعها العلماء في قبول القراءة الصحيحة.

"وتَوجِيه الْقِراءَةِ الشاذةِ أَقْوى فِي الصنَاعةِ مِن تَوجِيهِ الْمشْهورةِ ومِن أَحسن ما وضِع فِيهِ كِتَاب الْمحتَسِبِ لِأَبِي الْفَتْحِ إِلا أَنه لَم يستَوفَ وأَوسع مِنْه كِتَاب أَبو الْبقَاءِ الْعكْبرِي وقَد يستَبشَع ظَاهِر الشاذ بادِي الرأْي فَيدفَعه التأْوِيل"[25].

وبعد هذا الحديث عن القراءات وعلم القراءات، فيجدر بنا أن نشرع بالحديث عن قراءة يزيد بن قطيب الشامي على وجه التخصيص، وبيان ما فيها من أقوال العلماء، وتوجيه هذه القراءة وفق أبواب اللغة المختلفة؛ صوتاً، وصرفاً، ونحواً، ودلالة.

---

[25]. الزركشي. أبو عبد ا محمد بن عبد ا بن بهادر (1957م). البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ج: 1، ص: 341.

الفصل الثاني

التوجيهات الصوتية لقراءة يزيد بن قطيب

حين تخفف الباحثون في علوم القراءات القرآنية من شرط التواتر وموافقة رسم المصحف؛ كان الشرط الثالث هو الفيصل في قبول القراءة القرآنية أم لا، وهو شرط موافقة وجه من وجوه العربية ولو تقديراً، ذلك أن اللغة العربية تحتمل وجوهاً في بعض النواحي اللغوية، ومن هنا فإن القراءة حين تحتمل ذلك الوجه أو غيره من الوجوه يدل ذلك على موافقتها للعربية، وبالتالي فإنه يمكننا قبولها، وألا ننعتها بالشذوذ اللغوي.

وتوجيه القراءة صوتياً يختص بنواحي القوانين الصوتية التي توصل إليها الباحثون المحدثون من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن التوجيه الصوتي للقراءة يتناول أثر الأصوات بعضها ببعض، وكيف أن بعض الأصوات ينتقل تأثيرها إلى غيرها، وبالتالي يحدث القلب أو التقارب الصوتي بين هذه الأصوات، في حالة من تسهيل النطق في اللغة، وهو ملمح نطقي بحت يتمثل في طريقة نطق بعض الأصوات عند تجاورها مع أصوات أخرى معينة لا بد وأن تؤثر فيها.

وما سيتناوله هذا الفصل يتمثل بالحديث عن التوجيهات الصوتية لقراءة يزيد بن قطيب الشامي، وهذه التوجيهات تتعلق ببعض القراءات التي تنطبق عليها بعض الملامح الصوتية، والقوانين الصوتية التي تبرز أثر الأصوات بعضها ببعض، وفيما يلي سنعرض للحديث عن موضوع الإتباع في قراءة يزيد بن قطيب.

1.2 الإتباع:

حين ننظر في المعجم العربي نجد أن كلمة "الإتباع" قد أُخذت من الجذر الثلاثي "تبع" ويعني اللحاق والسير في الأثر، يقول ابن منظور: "تَبِع الشيء تَبعاً وتَباعاً فِي الأفعال وتَبِعتُ الشيء تُبوعاً: سِرت فِي إِثْره؛ واتبعه وأَتْبعه وتتَبعه قَفاه وتَطلبه متبعاً لَه وكَذَلِك تتَبعه وتتَبعته تتَبعا"[26].

---

[26]. ابن منظور. لسان العرب، ج: 8، ص: 27.

ومن خلال المعنى اللغوي لكلمة "تبع" يظهر لنا أن هناك شيئاً ما يتبع شيئاً قبلـه، أي أن التابع يأتي بعد المتبوع في الترتيب، فلا يتبع السابق اللاحق، يعني ذلـك أن أي شيء تابع يفترض أن يتأخر عن متبوعة، وبالتالي فإن رتبة التابع بـعـد رتبـة المتبوع، وهو ما نراه ظاهراً من خلال التعريف اللغوي لكلمة الإتباع، حيث يظهـر لنا أن القصد من هذه الكلمة اللحاق، والسير في الأثر، والتقفية.

ولا يبتعد المعنى الاصطلاحي عن المعنى اللغوي كثيراً، بل إن الـصلة بينهمـا ظاهرة على أتم وجه، وبأوضح صورة، حيث تشير كتب الاصـطلاحات إلـى أن معنى كلمة "الإتباع" في الاصطلاح أي اللحاق بالأول[27]، وهو المعنى الذي تشير إليه المعاجم من قبل كما رأينا، فالثاني لاحق بالأول، وبالتالي فهو تابع له.

وهناك معنى آخر للإتباع في الاصطلاح اللغوي يرتبط ارتباطاً وثيقاً بطريقة نظم الكلام، وبالأسلوب الذي يعتمده العربي في كلامه، وهو داخل في ميدان فقه اللغـة أكثر من لصوقه بميدان الأصوات، حيث يأتي هذا النوع من الكلام علـى وجهـين: أحدهما: أن تكون كلمتان متواليتان على روي واحدٍ. والوجه الآخَـر: أن يختلـفَ الرويان، ثم تكون بعد ذلك على وجهين: أحدهما: أن تكون الكلمة الثانية ذات معنى معروف، إلا أنها كالإتباع لما قبلها. والآخَر: أن تكون الثانيةُ غَير واضحةِ المعنـى ولا بنية الاشتقاق[28].

ولقد مثّل ابن فارس لهذا الشكل اللغوي من الكلام بعدد كبير من الأمثلـة، ولقـد صنفها في كتابه "الإتباع والمزاوجة" على حروف المعجم، وقام بجمعها وتبويبهـا، غير أن هذا المعنى لا نقصد إليه في هذه الدراسة، بل نقصد إلى معنى آخر مختلف عن هذا المعنى.

والإتباع في مفهوم النحويين يرتبط بنواحي التوابع، فالتوابع وهي: الصفة والبدل، والتوكيد، والعطف تتبع في الإعراب لما قبلها من الكلام، ومن هنا فهي لاحقة لمـا

27. ابن زين العابدين. عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علـي (1990م). التوقيـف علـى مهمـات التعاريف، عالم الكتب، القاهرة ـ مصر، الطبعة الأولى. ص: 37.

28. ابن فارس. أبو الحسن أحمد (د.ت). الإتباع والمزاوجة، تحقيق: مصطفى كمال، مكتبة الخانجي، القاهرة ـ مصر، الطبعة الأولى ، ص: 28.

قبلها، وتالية لما سبقها، ومرتبطة بما يسبقها من كلام، فهي على هذا النحو تابعـة، وهو معنى يختص بالنحويين ولا يختص بعلم الأصوات.

أما ما نقصده هاهنا من معنى للإتباع في علم الأصوات يختص بمجيء صـوت لاحق متقارباً أو مشابهاً لصوت سابق له، وذلك بـسبب تـأثر الـصوت اللاحـق بالصوت السابق له.

ولقد وردت قراءات عن يزيد بن قطيب الشامي تحمل في ثناياها ما يدخل ضمن إطار الإتباع، وذلك في قوله تعالى: "والْمحصنَاتُ مِن النساءِ إلا ما ملَكَـتْ أَيمـانُكُم كِتَاب اللهِ علَيكُم وأُحِل لَكُم ما وراء ذَلِكُم أَن تَبتَغُوا بِأَموالِكُم محصِنِين غَير مسافِحِين فَما استَمتَعتُم بِهِ مِنْهن فَآتُوهن أُجورهن فَرِيضةً ولَا جنَاح علَيكُم فِيما تَراضيتُم بِهِ مِن بعدِ الْفَرِيضةِ إِن الله كَان علِيما حكِيما"[29].

لقد ذكرت المصادر أن يزيد بن قطيب الشامي قد قرأ "المحصنات" بضم الصاد، وهو كما علله بعضهم بأن ذلك داخل ضمن إطار الإتباع، حيث تبعت الضمة الضمة في هذه القراءة، يقول ابن عطية عن هـذه القـراءة: " وقـرأ يزيـد بـن قطيـب «والمحصنات» بضم الصاد، وهذا على إتباع الضمة الضمة"[30].

ونلحظ من خلال كلام ابن عطية السابق أنه قد وجه القراءة على أساس الإتباع، وقد صرح بظاهرة الإتباع صراحة في هذه القراءة، حيث جعل الضمة الثانية تابعة للضمة الأولى.

ويبين لنا أبو حيان هذه القراءة ناسبها إلى يزيد بن قطيب أيضاً، غير أنه يعلـل سبب إتباع الضمة للضمة، حيث يقول: " وقَرأَ يزِيد بن قُطَيبٍ: والْمحصنَاتُ بِـضم الصادِ اتباعا لِضمةِ الْمِيمِ، كَما قَالُوا: منْتُن، ولَم يعتَدوا بِالْحاجِزِ لِأَنه سـاكِن، فَهـو حاجِز غَير حصِينٍ"[31].

---

[29]. سورة النساء، آية: 24.

30. ابن عطية. أبو محمد عبد الحق بن غالب الأندلسي (1422هـ). المحرر الوجيز في تفسير القرآن العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى، ج: 2، ص: 35.

31. أبو حيان. محمد بن يوسف بن علي بن يوسف الأندلسي (1420هـ). البحر المحـيط، تحقيـق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى، ج: 3، ص: 584.

فالسبب في رأي أبي حيان عدم الاعتداد بالحاجز الفاصل بين الـضمتين، فهـذا الحاجز ساكن، والساكن لا يعتد به كحاجز، لأنه غير حصين، وهذا الحـاجز فـي القراءة السابقة يتمثل بصوت الحاء الساكن.

ولم يبتعد السمين الحلبي كثيراً عما قاله أبو حيان، حيث بـين أن هـذه القـراءة جاءت على الإتباع، وأن هذا الإتباع لم يعتد فيه بالساكن، حيث يقول: "وقرأ يزيد بن قطيب: و«المحصنات» بضم الصاد، كأنه لم يعتَد بالساكن فأتبع الصاد للميم كقولهم: مُنْتُن"[32].

ولقد وجهت القراءة في كل الكتب التي ذكرتها على أنها أتت على الإتبـاع بـين صوتي الضم، حيث يقول البيري في ذلك: " وأما قراءة الضم فقرأ بها يزيـد بـن قُطيب، ووجهها أن ضم الصاد إتباع لضم الميم"[33].

مما سبق يظهر لنا ما قد ذكره العلماء السابقون حول هذه القـراءة، وأنهـم قـد أجمعوا كما رأينا على أن الضمة الثانية ليست هي الأصل في الكلمة، وإنمـا هـي ناجمة عن حالة صوتية، وأثر صوتي يتمثل بالإتباع، فلقد أُتبعت ضمة الصاد ضمة الميم، وهذا ما سنبينه بالكتابة الصوتية فيما يلي:

إن الأصل في هذه الكلمة أن تكون إما بالفتح: محصنات، أو بالكسر: محصِنات، كما يلي:

محصنات: muẖşanāt

محصِنات: muẖşināt

إن هاتين الكلمتين تمثلان الأصل الذي تأتي عليه الكلمة، حيث إن إحداهما اسـم فاعل، والثانية اسم مفعول، غير أنه ليس من الأصل أن تأتي الضمة بعـد الـصاد، ولكن قراءة يزيد بن قطيب جاءت بضم الصاد وليس بفتحها ولا بكـسرها، وهـذا يتطلب توجيهاً وتعليلاً.

---

32. السمين الحلبي. أبو العباس شهاب الدين أحمد بن يوسف بن عبد الدائم (د.ت). الدر المصون فـي علوم الكتاب المكنون، تحقيق: أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق ـ سوريا، ج: 3، ص: 646.
33. البيري. أبو جعفر أحمد بن يوسف بن مالك (2007م). تحفة الأقران فيما قـرئ بالتثليـث مـن حروف القرآن، دار كنوز إشبيليا، السعودية، الطبعة الثانية، ص: 110 ـ 111.

لقد جاءت قراءة يزيد بن قطيب كما يلي:

محصنات: muḫṣunāt

وظاهر لنا من خلال الكتابة الصوتية أن هناك تأثراً بين الحركات، حيث إن الضمة التي تلي صوت الصاد ليست أصلية، غير أنها قد سبقت بضمة أخرى لحقت صوت الميم، وهناك اختلاف بين أصوات الحركات هذه، حيث إن صوتي الضمة والكسرة ينعتان بأنهما صوتان ضيقان، في حين أن الفتحة تنعت بأنها صوت متسع، وتخرج الضمة من خلال ارتفاع مؤخرة اللسان نحو سقف الحنك قليلاً، غير أن هذا الارتفاع لا يؤدي إلى سد المجرى، وينساب الهواء محدثاً حفيفاً، مع تذبذب الأوتار الصوتية، في حين أن الكسرة تحدث كما تحدث الضمة ولكن بفرق يتمثل بأنها أمامية، والفتحة كذلك تتمثل بأنها صوت أمامي متسع، وهي بهذه الصفة تختلف عن الحركتين السابقتين، ولا ننسى ذكر الدور الذي تلعبه الشفتان في أثناء نطق الحركات، فهما تؤديان دوراً مهماً في نطق الحركات[34].

ومما سبق يتبين لنا أن نطق صوت الكسرة أو الفتحة مجاورة لصوت الضمة قد يتأثر بصوت الضمة السابقة لها، كما هو واضح لنا من خلال القراءة القرآنية المنسوبة إلى يزيد بن قطيب الشامي، ولذا فإن صوت الضمة قد أثر بصوت الفتحة أو الكسرة الذي يلي صوت الصاد، ومن هنا انقلبت هذه الفتحة أو الكسرة إلى صوت الضمة في محاولة لإيجاد سهولة ويسر في نطق هذه الكلمة، علاوة على مسألة المماثلة الصوتية، حيث أثر صوت الضمة السابق بصوت الفتحة أو الكسرة اللاحق، مع وجود حاجز غير حصين بينهما، فانقلبت الفتحة أو الكسرة إلى ضمة مشابهة للضمة الأولى وذلك من قبيل المماثلة الصوتية الكلية المقبلة المنفصلة.

ومما ساعد على تحول صوت الفتحة أو الكسرة إلى صوت الضمة وجود حاجز غير حصين ـ كما سماه أبو حيان ـ وهو صوت الحاء المعراة من الحركة، حيث إن صوت الحاء لا يحمل أي حركة، ومن هنا كان غير حصين، وبالتالي استصيغ

---

34. انظر: عبد التواب. رمضان (1997م). المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، مكتبة الخانجي، القاهرة ـ مصر، الطبعة الثالثة، ص: 94، 95، 97.

انقلاب الفتحة أو الكسرة إلى صوت الضمة تأثراً بصوت الضمة اللاحـق لـصوت الميم.

وفي موضع آخر يقول ا سبحانه وتعالى: "لَا تَجعلُوا دعاء الرسول بينَكُم كَدعاءِ بعضِكُم بعضا قَد يعلَم الله الذِين يتَسلَّلُون مِنْكُم لِواذًا فَلْيحذَرِ الذِين يخَالِفُون عن أَمرِهِ أَن تُصِيبهم فِتْنَةٌ أَو يصِيبهم عذَاب أَلِيم"[35].

لقد ذكر السمين الحلبي هذه الآية الكريمة، وبين أن فيها قراءة ليزيد بن قطيـب الشامي تتمثل بقراءة "لَواذاً" بفتح اللام دون كسرها، حيث يقول: " وقرأ يزيـد بـن قطيب «لَواذاً» بفتح اللامِ، وهي محتملةٌ لوجهين:

أحدهما: أن تكون مصدر «لاذ» ثلاثياً فتكون مثلَ: طاف طَوافاً.

وصلَحتْ أن تكون مصدر لاوذَ، إلا أنه فُتِحتْ الفاء إتباعاً لفتحةِ العين وهو تعليـلٌ ضعيفٌ يصلُح لمثل هذه القراءة"[36].

يظهر لنا من خلال كلام السمين الحلبي السابق أن القـراءة القرآنيـة محتملـة لوجهين، والوجهين مقبولان لغوياً، فالأول: يتمثل في عد كلمة "لَواذاً" بفـتح الـلام مصدراً لفعل ثلاثي، وبالتالي لا يكون مشكلة في فتح اللام، أما الوجه الثاني: فهو أن نعد "لَواذاً" مصدراً صريحاً لفعل رباعي وهو الفعل "لاوذ" على أن تكون الفتحة التي تلي صوت اللام آتية من الإتباع، وإن كان السمين الحلبي قد ضعف هذا الوجه.

ويقول الطبري مفسراً هذه الآية الكريمة: " يقـول تعـالى ذكـره: إنكـم أيهـا المنصرفون عن نبيكم بغير إذنه، تسترا وخفية منه، وإن خفي أمر من يفعـل ذلـك منكم على رسول ا صلى ا عليه وسلم،فإن ا يعلم ذلك، ولا يخفى عليه، فليتـق من يفعل ذلك منكم، الذين يخالفون أمر ا في الانصراف عن رسول ا صلى ا عليه وسلم إلا بإذنه، أن تصيبهم فتنة من ا ، أو يصيبهم عذاب أليم، فيطبـع علـى قلوبهم، فيكفروا با "[37].

---

[35]. سورة النور، آية: 63.

[36]. السمين الحلبي. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، ج: 8، ص: 447 ـ 448.

[37]. الطبري. أبو جعفر محمد بن جرير (2000م). جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى، ج: 19، ص: 231.

ويقول السمرقندي مبيناً فائدة مستنبطة من هذه الآية الكريمة: " وفي الآية بيـان حفظ الأدب، بأن الإمام إذا جمع الناس لتدبير أمر من أمور المسلمين ينبغـي أن لا يرجعوا إلا بإذنه، وكذلك إذا خرجوا إلى الغزو، لا ينبغي لأحد أن يرجع إلا بإذنـه، ولا يخالف أمر السرية. وروي عن مكحول أنه سئل عن هذه الآية وعنده عطـاء، قال: «هذا في الجمعة، وفي الزحف، وفي كل أمر جامع"[38].

ويذكر النحاس في معانيه أن "اللواذ" مصدر الفعل "لاوذ" في حين أن الفعل "لاذ" مصدره الصريح "لياذ" وليس "لواذاً"[39].

ويظهر لنا من خلال كلام العلماء والمفسرين السابق أن القراءة الكريمة تحتمـل لوجهين أحدهما صرفي، والثاني صوتي، أما الصرفي فقد تحدث عنه النحاس وذكر أن مصدر الفعل "لاذ" هو "لياذ" وليس "لواذاً" وبالتالي تكون القراءة بعيدة عن مصدر الفعل الثلاثي، غير أن هذا الكلام ليس مؤكداً تماماً لأن مصادر الأفعـال الثلاثيـة سماعية وليست قياسية، فعلى ذلك قد يكون المصدر الصريح من هذا الفعل "لياذاً" أو "لواذاً" على حد سواء.

وفي كلتا الحالتين فإن أصل المصدر لا يهمنا كثيراً بقدر ما يهمنا الحركة التـي تلي صوت اللام في المصدر الصريح من هذا الفعل، فلو عددناه مصدراً للفعل "لاذ" فلا مشكلة في مصدره، ولكن المشكلة تظهر لنا حين نعد هذا المصدر مصدراً لفعل رباعي وهو "لاوذ" فهذا المصدر مقيس، وقياسه في العربية "فِعال" بكسر الفاء، غير أن الكلمة هاهنا جاءت مفتوحة الفاء وليست مكسورة، وعلى ذلك فإن هناك شيئاً ما قد حصل في هذا المصدر مما جعل حركة الفاء تنتقل من الكسرة إلى الفتحة.

لقد ذكر السمين الحلبي في حديثه عن هذه القراءة أن الفتحة التي تلي اللام إنمـا جاءت إتباعاً للفتحة التالية لها، ولكي نبين ذلك نكتب الكلمة كتابة صوتية:

---

38. السمرقندي. أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم (د.ت). بحر العلوم، ج: 2، ص: 526.

39. النحاس. أبو جعفر أحمد بن محمد (1409هـ). معـاني القـرآن، تحقيـق: محمـد علـي الصابوني، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولـى، ج: 4، ص: 567.

لِواذ: liwāḏ

حيث إن الأصل في هذا المصدر مجيء الكسرة بعد فاء الكلمة، غير أن ما نـراه في قراءة ابن قطيب مختلف إلى حد ما، فالحركة التي تلي فاء الكلمة فتحة قـصيرة وليست كسرة قصيرة، وذلك كما يلي:

لَواذ: lawāḏ

ولقد رأينا أن السمين الحلبي قد فسر هذه الحركة بالإتباع، غير أننا نسأل أنفـسنا كيف حصل الإتباع لحركة لاحقة، إذ إن الأصل فيه أن تأتي الحركة التالية مـشابهة للحركة السابقة وليس العكس، فالتأثر هاهنا عكسي.

إن ما حصل في ظننا متمثل بالمماثلة الصوتية طلباً للخفة والسهولة في النطـق، وهذه المماثلة الصوتية تامة مدبرة في حال الانفصال، إذ تأثرت كسرة اللام بالفتحة الطويلة التي تلي صوت الواو، فتحولت كسرة اللام إلى فتحة قـصيرة مـن بـاب المماثلة الصوتية تسهيلاً في النطق.

ومما سبق يتبين لنا أن مصطلح "الإتباع" الذي نجده عند علماء اللغة القدماء مـا هو إلا صورة مسبقة عن المماثلة الصوتية التي أشار إليها علماء اللغة المحـدثون، فتأثر الصوت الثاني بالصوت الأول أو العكس هو تماماً ما تعنيه المماثلة الـصوتية في علم الأصوات الحديث، غير أن تعبير القدماء عن هذه الظاهرة الـصوتية كـان مختلفاً عن تعبير المحدثين، مع اختلاف أيضاً في المـصطلحات المـستعملة بـين الفريقين ـ القدماء والمحدثون ـ.

ومن ناحية أخرى فقد رأينا أن قراءة ابن قطيب الشامي جاءت على وجـه مـن وجوه العربية في باب الإتباع، وهذا يعني قبول هذه القراءة عند أصحاب القراءات، وإن كانت قراءة شاذة؛ فمع ذلك لا يضير الاستشهاد بها في القضايا اللغوية.

المماثلة الصوتية:

تأخذ المماثلة الصوتية والمخالفة الـصوتية مكانهمـا فـي القـراءات القرآنيـة خصوصاً، واللغة عموماً، إذ من الأمور التي توصل إليها العلماء اللغويون المحدثون أثر هذا القانون في بناء الكلام في اللغـة بـشكل عـام، إذ إن الـصيغ الـصوتية، والصرفية، والتراكيب النحوية في كثير من ملامحهـا تخـضع لقـانون المماثلـة

الصوتية، والذي من شأنه أن يوجد شيئاً من السهولة واليسر في نطق الكلام، وبالتالي الوصول إلى أقل جهد ممكن لأداء الكلام.

والمماثلة الصوتية تختص بأن ينزع أحد الصوتين إلى التماثل نتيجة تباعد الصفات أو المخرج بينه وبين صوت آخر، هذا النزوع إلى التماثل أو التقارب يؤدي إلى سهولة في النطق، ويسر في الكلمات، وبالتالي تقليل الجهد المبذول في النطق من قبل الإنسان.

والقراءات القرآنية من أكثر النصوص اللغوية بياناً للمماثلة الصوتية أو حتى المخالفة الصوتية، إذ يوجد عدد كبير من القراءات القرآنية التي تُوجه وفق هذا القانون الصوتي، فهو ذو أثر كبير في تركيب الكلام والألفاظ في اللغة[40].

وعلاوة على ما سبق ذكره من آيات قرآنية تحتمل وجوهاً من المماثلة الصوتية فإننا نذكر فيما يلي مثالاً عليها أيضاً، وهو ما جاء في قوله تعالى: "إِن الذِين جاءوا بِالْإِفْكِ عصبةٌ مِنْكُم لَا تَحسبوه شَرا لَكُم بلْ هو خَير لَكُم لِكُلِّ امرِئٍ مِنْهم ما اكْتَسب مِن الْإِثْمِ والذِي تَولى كِبره مِنْهم لَه عذَاب عظِيم"[41].

حيث يقول أبو حيان في "كبره" الواردة في الآية الكريمة: " وقَرأَ الْجمهور كِبره بِكَسر الْكَافِ. وقَرأَ الْحسن وعمرةُ بِنْتُ عبدِ الرحمن والزهري وأَبو رجاءٍ ومجاهِد وأَبو الْبرهسمِ والْأعمشُ وحميد وابن أَبِي عبلَةَ وسفْيان الثوري ويزِيد بن قُطَيبٍ ويعقُوب والزعفَرانِي وابن مِقْسمٍ وسورةُ عن الْكِسائِي ومحبوب عن أَبِي عمرٍو بِضم الْكَافِ، والْكِبر والْكُبر مصدرانِ لِكبر الشيء عظُم لَكِن استِعمالَ الْعربِ الضم لَيس فِي السن. هذَا كُبر الْقَومِ أَي كَبِيرهم سِنا أَو مكَانَة"[42].

40. انظر: القادوسي. عبد الرازق بن حمودة (2010م). أثر القراءات القرآنية في الصناعة المعجمية - تاج العروس أنموذجاً، رسالة جامعية بإشراف: رجب عبد الجواد إبراهيم، قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة حلوان، مصر ، ص: 52، 85.

41. سورة النور، آية: 11.

42. أبو حيان. البحر المحيط، ج: 8، ص: 21، وشرف الدين. جعفر (1420هـ). الموسوعة القرآنية - خصائص السور، تحقيق: عبد العزيز بن عثمان التويجزي، دار التقريب بين المذاهب الإسلامية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ج: 6، ص: 73.

ويقول الثعلبي في هذه الآية الكريمة: "والذِي تَولى كِبره والذي تحمل معظمه فبدا بالخوض فيه، وقراءة العامة كِبره: بكسر الكاف، وقرأ خليل والأعرج ويعقوب الحضرمي بضم الكاف.

قال أبو عمرو بن العلاء: هو خطأ لأن الكبر بضم الكاف في الولاء والسن، ومنه الحديث: الولاء للكبر، وهو أكبر ولد الرجل من الذكورة وأقربهم إليه نسبا. وقال الكسائي: هما لغتان مثل صفر وصفر"[43].

وكما هو واضح لنا من خلال الآية القرآنية الكريمة فإن الفرق بين قراءة الجمهور وقراءة يزيد بن قطيب تتمثل بالحركة القصيرة التي تلي صوت الكاف، حيث إن قراءة الجمهور بالكسر، وقراءة يزيد ومن معه بالضم، وهو الفرق الوحيد بين القراءتين.

ولكي نبين ما حصل في قراءة يزيد بن قطيب من مماثلة صوتية لا بد لنا من كتابة صوتية نستعين بها في الوصول إلى النتيجة.

الأصل في قراءة الجمهور:

كِبره: kibrahu

أما قراءة يزيد بن قطيب فهي:

كُبره: kubrahu

ما حصل في قراءة يزيد بن قطيب يتمثل في أن الكسرة التي تلي صوت الكاف تأثرت بالضمة القصيرة التي تلي صوت الهاء في نهاية الكلمة، ولقد أدى هذا التأثر إلى انقلاب الكسرة القصيرة التي تلي صوت الكاف إلى ضمة قصيرة تسهيلاً في النطق، وتأثراً بصوت الضمة القصيرة التي تلي صوت الهاء، فهذه المماثلة، مماثلة مدبرة كلية في حالة الانفصال.

---

43. الثعلبي. أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم (2002م). الكشف والبيان عن تفسير القرآن، تحقيق: أبو محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ج: 7، ص: 78.

2.2 المخالفة الصوتية:

يمثل قانون المخالفة الصوتية حالة التعادل التي يوجـدها مـع قـانون المماثلـة الصوتية، إذ لا بد لبعض الكلمات والأصوات أن تتقارب نطقياً، ولا بـد لبعـضها الآخر أن يتباعد، ولا يكون ذلك على شكل عشوائي، بل يحدث هذا الأمر بطريقـة تفاعلية متماسكة تتمثل بقانوني المماثلة الصوتية، والمخالفة الصوتية، فكلا القانونين يعمل على تقريب النطق البعيد، وتسهيل ما يصعب من حالات النطـق المختلفـة، وذلك وفق ما يقتضيه الصوت المنطوق.

وفي هذا المبحث سنتناول بعض القراءات المنسوبة ليزيد بن قطيب، التي تظهـر فيها ملامح المخالفة الصوتية، هذه الملامح التي تقودنا إلى تسهيل أكثر في النطـق، واندفاع أكبر في الكلام، وكما أشرنا من قبل فإن قانون المخالفة الصوتية لا يـسير وحده، بل وفق نظام محدد مع قانون المماثلة الصوتية.

وكما أن المماثلة الصوتية لها أشكالها؛ فإن المخالفة الصوتية أيضاً لها أشـكالها، فحين يؤثر الصوت السابق باللاحق تكون المخالفة مقبلة، بينما حين يؤثر الـصوت اللاحق بالسابق تكون المخالفة مدبرة، وإذا كانت المخالفة دون فاصل بينهما تكـون مخالفة متصلة، في حين إذا وجد فاصل بين الصوتين تكـون المخالفـة منفـصلة، وأخيراً تأتي المخالفة تامة وجزئية، وبناء على هذه الأنـواع تتـضح لنـا صـورة المخالفة الصوتية على أتم وجه.

وبعد هذه المقدمة السريعة حول المخالفة الصوتية نشرع بالحديث عن مواضعها في قراءة يزيد بن قطيب الشامي، إذ يقول الله سبحانه وتعالى: "قَالُوا نَفْقِـد صـواع الْمِلِكِ ولِمن جاء بِهِ حِملُ بعِيرٍ وأَنَا بِهِ زعِيم"[44].

يذكر ابن خالويه في مختصره أن يزيد بن قطيب قرأ "نفقد صِواغ الملك"، بكسرة بعد الصاد، وغين معجمة، في حين أن قراءة الجمهور كما نرى في الآية أتت بضم الصاد وعين مهملة[45].

---

[44]. سورة يوسف، آية: 72.

[45]. ابن خالويه. أبو عبد الله الحسين بن أحمد (د.ت). مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع، مكتبة المتنبي، القاهرة ـ مصر، ص: 69.

ويذكر الزجاج هذه القراءة زيادة على قراءات أخرى في هذا الباب، كقراءة مـن قرأ: صاغ الملك، وصاع الملك، في حين أن الزجاج عندما ذكر هذه القـراءة لـم ينسبها لقارئ بعينه، بل قال: وقرئ صِواغ الملك بالغين المعجمة[46].

أما الثعلبي فيذكر هذه القراءات، ويذكر أيضاً أنه ثمة اختلاف في قـراءة هـذه الكلمة، يقول: "واختلف القراء في قراءة ذلك، فروى قثم عن داود بن أبي هند عـن مولى بني هاشم عن أبي هريرة أنّه قرأ صاع الملك، وقرأ أبو رجاء صوع، وقـرأ يحيى بن معمر صوغ بالغين، [فإنّه] وجهنا إلى مصر، صاغ يصوغ صوغا، وجمع الصواع صيعا، وجمع صاع أصواع"[47].

أما الماوردي فإنه يفسر لنا وجود الغين في هذه القراءات، ويبين أنها مأخوذة من الصياغة، لأن الصواغ كان يصاغ من الفضة أو الذهب أو النحاس، يقول في ذلك: "وحكى غالب الليثي عن يحيى بن يعمر أنه كان يقرأ صوغ الملك بالغين معجمـة ، مأخوذ من الصياغة لأنه مصوغ من فضة أو ذهب وقيل من نحاس"[48].

وأياً يكن الكلام حول هذه القراءة فإننا أمام مسألتين في قراءة يزيد هذه، المـسألة الأولى تتمثل بوجود الغين، في حين أن قراءة عامة القراء بالعين المهملة، ويظهـر لنا من خلال كلام المفسرين والعلماء أن هذه الغين مأخوذة من الجذر "صاغ" كمـا ذكر الماوردي، وذلك للدلالة على الصياغة التي تكون عليها تلك الآنيـة، وبالتـالي تكون الغين على ذلك من جسم الكلمة نفسها، ومن جذر اللفظ، فهي هاهنـا جـاءت لمعنى بعينه.

وما نراه غير ذلك، إذ قد تكون الغين ناجمة عن حالة النقط للمصحف وإعجـام الحروف، إذ نجمت هذه الغين من خلال اعتبار العين منقوطة، فالتشابه بين الغـين والعين ظاهر، وبالتالي حين يخلو الحرف من النقط يسهل الخلط بينهما، وا   أعلم.

---

46. الزجاج. أبو إسحاق إبراهيم بن السري (1988م). معاني القرآن وإعرابه، تحقيـق: عبـد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ج: 3، ص: 170.

47. الثعلبي. الكشف والبيان، ج: 5، ص: 240.

48. الماوردي. أبو الحسن علي بن محمد بن محمد (د.ت). النكت والعيون، تحقيق: السيد ابـن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ج: 3، ص: 62.

أما المسألة الثانية التي تظهر لنا في هذه القراءة فهي مناط المخالفة الصوتية فيها، إذ إن كسرة الصاد لم تأتِ عبثاً، بل جاءت وفق قانون صـوتي يحكمهـا، فقـراءة الجمهور بضم الصاد، وذلك على النحو الآتي:

صواع: şuwāg

ويظهر لنا من خلال الكتابة الصوتية أن صوت الصاد يليه صوت مـن جـنس الضمة القصيرة، ثم يلي صوت الضمة شبه حركة واوية، في حين أن قراءة يزيد بن قطيب جاءت كما يلي:

صِواغ: şiwāg

ففي قراءة يزيد بن قطيب تحولت الضمة القصيرة إلى كـسرة قـصيرة، وهـذا التحول إنما جاء وفق قانون المخالفة الصوتية، فصوت الضمة القصيرة يليه صوت شبه الحركة الواوية، مما جعل الضمة تتأثر بصوت شبه الحركة الواوية فمن بـاب المخالفة الصوتية قُلبت الضمة القصيرة إلى كسرة قصيرة للوصول إلـى الـسهولة واليسر في النطق، وذلك من خلال المخالفة، وفي هـذه الحالـة جـاءت المخالفـة الصوتية تامة مدبرة متصلة.

وبناء على ما سبق يظهر لنا الأثر الذي تركته المخالفة الصوتية في بنـاء هـذه الكلمة، وفي قراءة يزيد بن قطيب، ونشير هنا إلى أن هذه القراءة الموجهة توجيهـاً صوتياً لم تؤثر في المعنى، فالمعنى والدلالة في كلتا القراءتين هو هو، ولم يختلـف شيئاً عن المعنى المراد في قراءة الجمهور، وا   أعلم.

وفي موضع آخر يقو ا   سبحانه وتعالى: "قَالَ ذَلِكَ بيني وبينَـكَ أَيمـا الْـأَجلَين قَضيتُ فَلَا عدوان علَي والله علَى ما نَقُولُ وكِيلٌ"[49].

ففي الآية القرآنية السابقة قراءة منسوبة ليزيد بن قطيب الشامي، وهي في كلمـة "عدوان" حيث قرأ عامة القراء وجمهورهم بالضم بعد العين، في حين قرأ يزيد بـن قطيب بكسرة بعد العين بدل الضمة[50].

---

[49]. سورة القصص، آية: 28.

[50]. ابن خالويه. مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع، ص: 114.

يقول الطبري في هذه الآية الكريمة: "وقوله: (أيما الأجلين قـضيتُ) يقـول: أي الأجلين من الثماني الحجج والعشر الحجج قضيت، يقول: فرغت منها فوفيتكها رعي غنمك وماشيتك (فلا عدوان علي) يقول: فليس لك أن تعتدي علي، فتطالبني بـأكثر منه، و"ما" في قوله: (أيما الأجلين) صلة يوصل بها أي على الـدوام وزعـم أهـل العربية أن هذا أكثر في كلام العرب من أي"[51].

أما ابن عطية فيقول في هذه الآية من ناحية القـراءات الـواردة فيهـا: "وقـرأ الجمهور «فلا عدوان» بضم العين وقرأ أبو حيوة «فلا عـدوان» بكـسر العـين، والمعنى لا تبعة علي من قول ولا فعل، و «الوكيل» الشاهد القائم بالأمر"[52].

فكلام ابن عطية ومن تابعه وسبقه من العلماء يتحدث عـن طبيعـة القـراءتين، فالجمهور على قراءة الضم، وقراءة أبي حيوة وابن قطيب على الكـسر، غيـر أن العلماء لم يشيروا إلى فرق في المعنى بين القراءتين، قراءة الضم وقراءة الكسر.

أما القرطبي فيبين لنا تفسير هذه الآية ذاكراً ما ورد فيها من قراءة، حيث يقول: "قالَ ذِلك بيني وبينَك أي ذلك الذي عاهدتني فيه قائم بيننا لا نخرج عنه. أَيما الْأَجلَين أطولهما أو أقصرهما. قَضيتُ وفيتك إياه. فَلا عدوان علَي لا تعتدي علـي بطلـب الزيادة فكما لا أطالب بالزيادة على العشر لا أطالب بالزيادة على الثمـان، أو فـلا أكون متعدياً بترك الزيادة عليه كقولك لا إثم علي، وهو أبلغ فـي إثبـات الخيـرة وتساوي الأجلين في القضاء من أن يقال إن قضيت الأقصر فلا عـدوان علـي... وقرئ عِدوان بالكسر"[53].

وكما نرى فإن القرطبي لم ينسب القراءة لا إلى يزيد بن قطيب ولا إلى غيره، بل اكتفى بذكر القراءة ونسبتها بالفعل المبني للمجهول.

---

[51]. الطبري. جامع البيان، ج: 19، ص: 565 ـ 566.

[52]. ابن عطية. المحرر الوجيز، ج: 4، ص: 285.

[53]. القرطبي. أبو عبد ا محمد بن أحمد بن أبي بكر (1964م). الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، مصر، الطبعة الثانية، ج: 4، ص: 176.

ومما يلاحظ في القراءة القرآنية ومن خلال كلام العلماء أن الاختلاف في حركة عين "عدوان" من الضم إلى الكسر لم يقد إلى اختلاف في المعنى أو الصيغة، بل إن الأمر ينحصر في إبدال حركة مكان حركة، وهذا الإبدال لم يترتب عليه شيء في نواحي المعنى، أو في نواحي الصيغة الصرفية والتركيب.

وما دام أمر هذا الاختلاف لا يفضي إلى اختلاف دلالي أو تركيبي أو حتى بنائي فما السر من وراء إبدال الضمة كسرة في قراءة يزيد بن قطيب الشامي؟

إن ما يبدو لي في هذه القراءة لا يتعدى الحديث عن مخالفة صوتية وجدت من أجل الخفة والسهولة في النطق، وذلك أن طبيعة البناء الصوتي للكلمة يجعلها صعبة النطق، فجاء إبدال الضمة كسرة من باب المخالفة الصوتية كي يصبح نطقها أكثر سهولة، وذلك ما يمكننا أن نفسره من خلال الكتابة الصوتية كما يلي:

الكلمة الأصل:

عدوان: >udwān

ويظهر لنا من خلال الكتابة الصوتية أن صوت الضمة القصيرة يليه صوت شبه الحركة الواوية، وشبه الحركة الواوية والضمة القصيرة متقاربتان في اللفظ والمخرج والصفات، لذا أبدلت الضمة القصيرة كسرة قصيرة من باب التسهيل واليسر، وذلك كما يلي:

عِدوان: >idwān

حيث قُلبت الضمة القصيرة إلى كسرة قصيرة حين جاورت صوت شبه الحركة الواوية، وذلك من باب التأثر المدبر التام المتصل، وهو تأثر ضمن إطار المخالفة الصوتية.

وبهذا نكون قد أنهينا الحديث عن مواضع المخالفة الصوتية في قراءة يزيد بن قطيب الشامي، والتي رأيناها تتمثل في المخالفة بين الحركات القصيرة فحسب.

وفي نهاية هذا الفصل لا بد لنا من أن نسجل النتائج الآتية:

أولاً: ثمة مجموعة من الملحوظات والملامح الصوتية التي نراها في قراءة يزيد بن قطيب، هذه الملامح والملحوظات ذات وجه في العربية، ويمكن أن يستشهد بها في ميدان اللغة.

ثانياً: إن أهم ظاهرتين يمكن أن نراهما في قراءة يزيد بن قطيب الشامي هما الإتباع، والمماثلة الصوتية، رغم أن هاتين الظاهرتين فيهما كثير من التداخل والتشابك، إلا أنهما يمثلان ظاهرتين بارزتين في قراءة يزيد بن قطيب الشامي، وبطبيعة الحال فإن هاتين الظاهرتين يقصد منهما الوصول إلى تسهيل النطق، وتيسير الكلام، وبذل أقل جهد ممكن في نطق الألفاظ في العربية.

ثالثاً: لم تكن الملامح الصوتية في قراءة يزيد بن قطيب تمثل أغلب الظواهر الصوتية، بل كانت تمثل بعض الظواهر فحسب، علاوة على قلة القراءات الواردة في تلك الظواهر الصوتية.

رابعاً: هناك بعض الملامح للمخالفة الصوتية في قراءة يزيد بن قطيب، خصوصاً في مجال الحركات، إذ وردت قراءتان تحتويان على ملمح من ملامح المخالفة الصوتية.

خامساً: لم تكن المماثلة الصوتية أو حتى المخالفة الصوتية لتفضي إلى اختلاف في الدلالة أو المعنى، بل انحصرت فائدة المماثلة أو المخالفة في نواحي النطق تسهيلاً وتيسيراً فحسب.

الفصل الثالث

التوجيهات الصرفية والنحوية لقراءة يزيد بن قطيب

إن من أبرز ميادين اللغة ميدانا النحو والصرف، فهما من أكثر الميادين بحثاً، ومن أخصبها علماً، وهما يتشاركان في كثير من الأمور وثمة نقاط اتصال كثيرة بينهما، وعموماً فإنه لا يمكن دراسة أي حقل من حقول العلم اللغوي بمعزل عن الحقل الآخر.

ويتناول هذا الفصل عدداً من القراءات القرآنية المنسوبة ليزيد بن قطيب الشامي، هذه القراءات تدخل ضمن دائرة النحو والصرف، ولا بد من توجيهها وفقاً لما تقتضيه قوانين اللغة، وقواعد النحو والصرف، وذلك كي تتضح الصورة على أتم وجه؛ لذا فإن هذا الفصل يعمد إلى هذه القراءات ويقوم بتوجيهها توجيهاً نحوياً وصرفياً، وفيما يلي نبدأ الحديث عن هذه القراءات.

1.3 بين المبني للمجهول والمبني للمعلوم:

لقد ورد عن يزيد بن قطيب قراءات تدخل في دائرة المبني للمجهول والمبني للمعلوم، هذه القراءات فيها تناوب بين البناء للمجهول والبناء للمعلوم، وفيما يلي سنذكرها.

يقول الله سبحانه وتعالى: "وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ"[54].

ففي هذه الآية الكريمة وردت قراءة ليزيد بن قطيب الشامي ومعه عدد من القراء، وهي في قوله تعالى: "أنزل إليك وما أنزل من قبلك"، حيث يقول الزمخشري: " وقرأ يزيد بن قطيب بِمَا أُنْزَلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزَلَ مِن قَبْلِكَ على لفظ ما سمى فاعله. وفي تقديم (بِالْآخِرَةِ) وبناء (يُوقِنُونَ) على: (هم) تعريض بأهل الكتاب

[54]. سورة البقرة، آية: 4.

وبما كانوا عليه من إثبات أمر الآخرة على خلاف حقيقته، وأن قولهم ليس بصادر عن إيقان، وأن اليقين ما عليه من آمن بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك"[55].

إن هذه الآية القرآنية الكريمة تأتي في قراءة الجمهور بلفظ ما لا يسمى فاعله، أي بصيغة المبني للمجهول، غير أن يزيد بن قطيب الشامي قرأها بلفظ ما سمي فاعله، وعلى ذلك فثمة اختلاف بين هذه القراءة وقراءة الجمهور، وهذا الاختلاف أولاً اختلاف تركيبي، ثم إنه اختلاف دلالي.

ويقول أبو حيان في هذه الآية أيضاً: " وقَرَأَ الْجمهور: بِما أُنْزِلَ إِلَيْك وما أُنْزِلَ مِن قَبلِك مبنيا لِلْمفْعول، وقَرأَهما النخَعِي وأَبو حيوةَ ويزيد بن قُطَيبٍ مبنيا للفاعل"[56].

لقد زاد أبو حيان على كلام الزمخشري السابق بأن ذكر عدداً من القراء الذين قرأوا هذه القراءة، ولم يكتفِ فقط بذكر يزيد بن قطيب، بل قرأ هذه القراءة أبو حيوة، والنخعي، إضافة إلى يزيد بن قطيب.

ويثني أبو حيان على كلامه السابق قائلاً: "وبِنَاؤُهما لِلْفَاعِلِ فِي قِراءةِ النخَعِي، وأَبِي حيوةَ، ويزيد بن قُطَيبٍ، فَاعِلُه مضمر، قِيلَ: الله أَو جِبرِيلُ. قَالُوا: وقُوةُ الْكَلَامِ تَدل علَى ذَلِك وهو عِنْدِي مِن الِالْتِفَاتِ لِأَنه تَقَدم قَولُه: ومِما رزقْناهم، فَخَرج مِن ضمِيرِ الْمتَكَلِمِ إِلَى ضمِيرِ الْغَيبةِ، إِذْ لَو جرى علَى الْأول لَجاء بِما أُنْزِلَ إِلَيك، وما أُنْزِلَ مِن قَبلِك، وجعلَ صِلَةَ ما الْأُولَى ماضِيةً لِأَن أَكْثَره كان نَزلَ بِمكَّةَ والْمدِينَةِ، فَأَقَام الْأَكْثَر مقَام الْجمِيعِ، أَو غُلِّب الْموجود"[57].

وكما هو ظاهر لنا من كلام أبي حيان أنه وجه القراءة على أنها من باب الالتفات، حيث إن الأصل في اللغة أن تكون الضمائر آتية وفق نظام واحد، وثمة تطابق في الكلام بين أنواع الضمائر، ولكن تحدث بعض الانتهاكات التي تنقل الحديث من الغائب إلى المتكلم، أو من المخاطب إلى الغائب، هذه الانتهاكات تمثل شكلاً أسلوبياً يسمى الالتفات أو العدول.

---

55. الزمخشري. أبو القاسم محمود بن عمرو (1407هـ). الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثالثة، ج: 1، ص: 42.

[56]. أبو حيان. البحر المحيط، ج: 1، ص: 70.

[57]. أبو حيان. البحر المحيط، ج: 1، ص: 71.

فهذه المطابقات تمثل نسقاً لغوياً مثالياً في الأداء في حين يعد الالتفات ظاهرة أسلوبية تعتمد انتهاك هذا النسق بانتقال الكلام من صيغة إلى صيغة، ومن خطاب إلى غيبة، ومن غيبة إلى خطاب، إلى غير ذلك من أنواع الالتفاتات[58].

وذكر المبرد أن العرب تترك مخاطبة الشاهد إلى المتكلم ومخاطبة الشاهد إلى مخاطبة الغائب[59]، وقد ورد عند السكّاكي أن نقل الكلام في الحكاية والغيبة والخطاب كل منهما إلى الآخر يسمى التفاتاً[60].

ثم أورد المبرد أن العرب يستكثرون منه ويرون أن الانتقال من أسلوب إلى آخر أدخل عند السامع، وأحسن تطرية لنشاطه.

وهو عند الجرجاني: العدول عن الغيبة إلى الخطاب، أو التكلم، أو على العكس[61]، وقال الصنعاني: إن الالتفات هو أن يكون المتكلم آخذاً في معنى، فيعدل عنه إلى غيره قبل تمام الكلام، ثم يعود إليه فيتمه، فيكون فيما عدل إليه مبالغة وزيادة حسنة[62].

فهذه التحولات الداخلة في القراءة القرآنية تقود إلى تغير في الأسلوب العام في القرآن الكريم، ومن ثم فإن الالتفات هو تحول وعدول في طريقة التركيب والدلالة، ينبثق عنه تحول في الأسلوب العام للقراءة.

أما ابن عطية فيقول: "وقوله: بِما أُنْزِلَ إِلَيْكَ يعني القرآن وما أُنْزِلَ مِن قَبْلِكَ يعني الكتب السالفة. وقرأ أبو حيوة ويزيد بن قطيب. «بما أنزل ... وما أنزل» بفتح

58. حسان. تمام (1973م). اللغة العربية معناها ومبناها، الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة – مصر، ص: 277.

59. المبرد. أبو العباس محمد بن يزيد (د.ت). الكامل في اللغة والأدب، بيروت، مكتبة المعارف، ج: 3، ص: 23.

60. السكاكي. أبو يعقوب يوسف (1981م). مفتاح العلوم، تحقيق: أكرم عثمان يوسف، دار الرسالة، القاهرة ـ مصر، الطبعة الأولى، ص: 395.

61. الجرجاني. علي بن محمد الشريف (1978م). التعريفات، مكتبة لبنان، بيروت ـ لبنان، ص: 34.

62. نقلا عن مطلوب. أحمد (1987م). معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، مطبوعات المجمع العلمي العراقي، ج: 1، ص: 297.

الهمزة فيهما خاصة. والفعل على هذا يحتمل أن يستند إلى ا تعالى، ويحتمل إلى جبريل، والأول أظهر وألزم"[63].

فلقد أشار ابن عطية في كلامه السابق إلى مسألة ما هو المنزل من عند ا سبحانه وتعالى، فما قد نزل إلى نبينا الكريم - صلى ا عليه وسلم - القرآن الكريم، وما كان من وحيه سبحانه وتعالى إليه - صلى ا عليه وسلم - وأما ما أُنزل من قبل الرسول الكريم فهي ما عدا القرآن الكريم من الكتب السماوية، والتعاليم الإلهية التي أُنزلت إلى الأنبياء السابقين لسيدنا محمد - صلى ا عليه وسلم -.

وكما أشرنا من قبل فإن القراءة القرآنية الكريمة تحتوي على تحولين اثنين: الأول: تركيبي، وهو مختص بما تحولت فيه الجملة من شكل تركيبي معين إلى شكل تركيبي آخر مختلف عن الشكل السابق، ففي قراءة الجمهور ثمة فعل مبني للمجهول بشكله المخصوص وصيغته المعروفة، وهناك أيضاً نائب فاعل يقوم مقام الفاعل في التركيب، في حين أن قراءة يزيد بن قطيب تختلف تركيبياً، إذ الأمر فيها متمثل بوجود فعل يأخذ صيغة البناء للمعلوم، والبناء للمعلوم يقتضي وجود فاعل، ومن هنا قام العلماء بتقدير فاعل، فمنهم من قال ضمير عائد على ا ، ومنهم من قال إنه ضمير عائد على جبريل عليه السلام.

والراجح عندي أن الضمير عائد على ا سبحانه وتعالى، لأنه هو الذي ينزل القرآن الكريم، وهو الذي أنزل ما سبقه من الكتب السماوية الأخرى، وهذا الإنزال من ا سبحانه وتعالى يكون بواسطة جبريل عليه السلام، وبالتالي فمن الأولى أن يكون الضمير عائد على لفظ الجلالة سبحانه وتعالى، وليس على جبريل عليه السلام.

أما بالنسبة للتوجيه الدلالي الذي اختلف وفقاً لاختلاف القراءة فسنتحدث عنه في موضع آخر من فصول هذه الدراسة بإذن ا تعالى.

وفي قوله تعالى أيضاً: "كُلما أَضاء لَهم مشَوا فِيهِ وإذا أَظْلَم علَيهم قَاموا"[64].

---

[63]. ابن عطية. المحرر الوجيز، ج: 1، ص: 86.

[64]. سورة البقرة، آية: 20.

ففي هذه الآية الكريمة اختلاف تركيبي عن الآية السابقة، فلقد كانت الآية السابقة تتناول فعلاً مبنياً للمجهول، وقرأه يزيد بن قطيب مبنياً للمعلوم، في حين أن هذه الآية الكريمة تحتوي فعلاً مبنياً للمعلوم، وهو "أظْلَم"، ونُقل عن يزيد بن قطيب أنه قرأه بالبناء للمجهول، فالأمر على العكس بين الآية السابقة وهذه الآية.

يقول الزمخشري ناسباً القراءة ليزيد بن قطيب في هذه الآية: " فإن قلت: كيف قيل مع الإضاءة: كلما، ومع الإظلام: إذا؟ قلت لأنهم حراص على وجود ما همهم به معقود من إمكان المشي وتأتيه، فكلما صادفوا منه فرصة انتهزوها، وليس كذلك التوقف والتحبس. وأظلم: يحتمل أن يكون غير متعد وهو الظاهر، وأن يكون متعديا منقولا من ظلم الليل، وتشهد له قراءة يزيد بن قطيب: أظلم، على ما لم يسم فاعله"[65].

نرى من خلال كلام الزمخشري السابق أنه جعل من القراءة القرآنية دليلاً على قضية لغوية، ولم يكن حديثه عن القراءة من أجل ذاتها، بل استشهد بالقراءة القرآنية على مسألة تعدي الفعل "أظلم" ولزومه، فهو يرى أنه إن كان لازماً فقراءة الجمهور دليل على لزومه، وإن كان متعدياً فإن قراءة يزيد بن قطيب دليل على تعديه، إذ إن بناء الفعل للمجهول لا يكون إلا من الأفعال المتعدية، وذلك كي يترتب على ذلك وجود نائب فاعل يحل محل الفاعل في التركيب.

أما أبو حيان فقد ذكر هذه القراءة وبينها، وأضاف إلى يزيد بن قطيب قارئاً ثانياً قرأ ببناء الفعل للمجهول، وهو الضحاك، يقول أبو حيان: "وقَرَأَ يزِيد بن قُطَيبٍ والضحاك: وإِذَا أَظْلَم مبنيا لِلْمفْعول، وأَصلُ أَظْلَم أَن لَا يتَعدى، يقَالُ: أَظْلَم الليلُ. وظاهر كلام الزمخشري أن أَظْلَم يكُون متَعديا بِنَفْسِهِ لِمفْعولٍ، فَلِذَلِك جاز أَن يبنَى لِما لَم يسم فَاعِلُه. قَالَ الزمخْشَرِي: أَظْلَم علَى ما لَم يسم فَاعِلُه"[66].

ويتحدث الرازي عن هذه الآية وتفسيرها، إذ يقول: "وأَن الْبرقَ يكَاد يخْطَفُ أَبصارهم، فَإِذَا أَضاء لَهم مشَوا فِيهِ، وإِذَا ذَهب بقُوا فِي ظُلْمةٍ عظِيمةٍ فَوقَفُوا متَحيرِين لِأَن من أَصحابه الْبرقُ فِي هذِهِ الظلُماتِ الثلَاثِ ثُم ذَهب عنْه تَشْتَد حيرتُه.

---

[65]. الزمخشري. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ج: 1، ص: 86.

[66]. أبو حيان. البحر المحيط، ج: 1، ص: 147.

وتَعظُم الظلْمةُ فِي عينِهِ، وتَكُون لَه مزيةٌ علَى من لَم يزلْ فِي الظلْمةِ، فَشَبه الْمنَافِقِين فِي حيرتِهِم وجهلِهِم بِالدين بِهؤُلَاءِ الَذِين وصفَهم، إِذْ كَانُوا لَـا يـرون طَرِيقًـا ولَـا يهتَدون"[67].

أما القرطبي فيذكر لنا أن المقصود بالإضاءة في الآية الكريمة طريق الإيمان، أما الإظلام فهي طريق الشرك والنفاق، فإذا أصاب المنافقين خيـر فرحـوا بـه، وإذا أصابتهم مصيبة جزعوا وابتعدوا عن الدين، وذُكر عن ابن عباس أنه قال: لقد نزلت هذه الآية في اليهود، إذ لما انتصر الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ في غزوة بدر قال اليهود: هذا والله النبي الذي بشرنا به موسى، فلما نُكِب في أحد ارتـدوا علـى أعقابهم، وهذا غير صحيح، والصحيح أنها نزلت في المنافقين[68].

أما البيضاوي فيشير إلى القراءة دون نسبتها لقارئ من القراء، وهـو مستـشهد بالقراءة على المسألة السابقة التي استشهد بها لأجلها الزمخشري، وهي بيان أن من الاحتمالات مجيء "أظلم" متعدياً، يقول البيضاوي: "كُلما أَضاء لَهم مـشَوا فِيـهِ وإِذا أَظْلَم علَيهِم قاموا استئناف ثالث كأنه قيل: ما يفعلون في تـارتي خفـوق البـرق، وخفيته؟ فأجيب بذلك. وأضاء إما متعد والمفعول محذوف بمعنى كلمـا نـور لهـم ممشى أخذوه، أو لازم بمعنى، كلما لمع لهم مشوا في مطرح نوره، وكذلك أظلم فإنه جاء متعدياً منقولاً من ظلم الليل، ويشهد له قراءة أظلم على البناء للمفعول"[69].

وثمة اختلاف تركيبي بين القراءتين كما نلحظ، فالقراءة الأولـى وهـي قـراءة الجمهور تجعل من الفعل "أظلم" فعلاً مبنياً للمعلوم، فيكون على ذلك فاعل هذا الفعل ضمير مستتر عائد على البرق، تقديره "هو"، وبالتالي فإن فاعل هذا الفعل موجـود في تركيب الجملة.

---

67. الرازي. أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين (1420هـ). مفاتيح الغيـب أو التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثالثة، ج: 2، ص: 315.

68. القرطبي. الجامع لأحكام القرآن، ج: 1، ص: 222 ـ 224.

69. البيضاوي. أبو سعيد ناصر الدين عبد الله بن عمر بن محمد (1418هـ). أنـوار التنزيـل وأسرار التأويل، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى، ج: 1، ص: 52.

في حين أن القراءة التي قرأ بها يزيد بن قطيب الشامي تجعل من الفعل "أظلـم" مبنياً للمجهول، وبالتالي فلا بد من تقدير نائب فاعل لهذا الفعل، ولا يجوز أن يكون ضميراً عائداً على شيء من الجملة السابقة؛ لأن ذلك يؤدي إلى انتفاء حكـم البنـاء للمجهول في الآية الكريمة، لذا لا بد من تقدير نائب فاعل لهذا الفعل في قراءة يزيد بن قطيب، فيكون نائب الفاعل ضمير مستتر، وهو عائد على "البرق" أي أن فـاعلاً ما يظلِم البرق عليهم، وهو ا سبحانه وتعالى، فهو القادر على أن يسلب ما لـديهم من طمأنينة بالإيمان، وانسياقهم وراء النفاق.

ووجه قراءة يزيد بن قطيب أنه يمكن مجيء الفعل "أظلم" متعدياً للمفعـول فـي اللغة، إذ إنه يأتي لازماً ومتعدياً، يقول ابن منظور في هذا الفعل: "وأَظْلَـم الليـلُ: اسود. وقالُوا: ما أَظْلَمه وما أَضوأَه، وهو شاذ. وظَلِم الليلُ، بِالْكسر، وأَظْلَم بِمعنًـى؛ عن الْفَراء... وظَلِم وأَظْلَم؛ حكَاهما أَبو إِسحاقَ وقَالَ الْفَراء: فِيهِ لُغَتَان أَظْلَم وظَلِـم، بِغَير أَلِف... وأَظْلَم القوم: دخَلُوا فِي الظلام"[70].

إن ما ورد علينا من كلام العرب يدلنا على أن الفعل "أظلم" يأتي لازمـاً ويـأتي متعدياً، والدليل على إتيانه متعدياً ما كان من قراءة يزيد بن قطيب الشامي.

وفيما يلي ننتقل إلى قراءة أخرى منسوبة ليزيد بن قطيـب الـشامي، يقـول ا سبحانه وتعالى: " إِن الذِين كَفَروا لَو أَن لَهم ما فِي الْأَرضِ جمِيعا ومِثْلَه معه لِيفْتَدوا بِهِ مِن عذَابِ يومِ الْقِيامةِ ما تُقُبلَ مِنْهم ولَهم عذَاب أَلِيم"[71].

يقول الطبري في تفسير هذه الآية الكريمة: " يقول عز ذكره: إن الذين جحـدوا ربوبية ربهم وعبدوا غيره، من بني إسرائيل الذين عبدوا العجل، ومن غيرهم الذين عبدوا الأوثان والأصنام، وهلكوا على ذلك قبل التوبة= لو أن لهم مِلـك مـا فـي الأرض كلها وضعفَه معه، ليفتدوا به من عقاب ا إيـاهم علـى تـركهم أمـره، وعبادتهم غيره يوم القيامة، فافتدوا بذلك كله، ما تقبل ا منهم ذلك فداء وعِوضا من عذابهم وعقابهم، بل هو معذِّبهم في حمِيم يوم القيامة عذابا موجعا لهم. وإنمـا هـذا إعلام من ا جل ثناؤه لليهود الذين كانوا بين ظهرانَي مهاجرِ رسول ا صلى ا

---

[70]. ابن منظور. لسان العرب، ج: 12، ص: 378.

[71]. سورة المائدة، آية: 36.

عليه وسلم: أنهم وغيرهم من سائر المشركين به، سواء عنده فيما لهم من العـذاب الأليم والعقاب العظيم. وذلك أنهم كانوا يقولون: (لَن تَمسنَا النار إِلا أَياما معدودةً) ، اغترارا با جل وعز وكذبا عليه. فكذبهم تعالى ذكره بهذه الآية وبـالتي بعـدها، وحسم طمعهم، فقال لهم ولجميع الكفرة به وبرسوله:"إن الذين كفروا لو أن لهم مـا في الأرض جميعا ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ما تُقُبل مـنهم ولهـم عذاب أليم. يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقـيم"، يقول لهم جل ثناؤه: فلا تطمعوا أيها الكفرة في قَبول الفدية منكم، ولا في خـروجكم من النار بوسائل آبائكم عندي بعد دخولكموها، إن أنتم متّم على كفركم الـذي أنـتم عليه، ولكن توبوا إلى ا توبةً نَصوحا"[72].

لقد ورد الفعل "تقبل" في الآية القرآنية الكريمة، وهذا الفعل في قراءة الجمهـور مبني للمجهول، فتكون فيه التاء والقاف مضمومتان، غير أن المفسرين يـذكرون أن يزيد بن قطيب الشامي قد قرأ بفتح التاء، على معنى الفاعلية، ويكون بالتالي الفعـل مبنياً للمعلوم، يقول ابن عطية في ذلك: " وقرأ جمهور الناس «تقبل» بـضم التـاء والقاف على ما لم يسم فاعله، وقرأ يزيد بن قطيب «تقبل» بفتحها على معنى ما قبل ا "[73].

فكلام ابن عطية السابق يبين لنا أن يزيداً قرأ بفتح التاء على البناء للمعلوم، وهـذا البناء للمعلوم يؤدي إلى تقدير فاعل من أجل بيان المعنى، لذا كان الفاعل المقدر لفظ الجلالة "ا " فهو الذي يتقبل من عباده.

أما أبو حيان في البحر المحيط فيذكر ما ذكره ابن عطية، ولم يزد عليه شيئاً، إلا أن قال: أي: ما تقبل ا منهم، ونصه في ذلك: " وقَرَأَ الْجمهور: مـا تُقُبـلَ مبنيـا لِلْمفْعول. وقَرأَ يزيد بن قُطَيبٍ: ما تَقَبلَ مبنيا لِلْفَاعِلِ أَي: ما تَقَبلَ الله مِنْهم"[74].

ومما نراه في كلام المفسرين أن يزيد بن قطيب هو وحده من قرأ بهذه القـراءة، أي أنها تعد انفراداً له، مع العلم بأن القراءتين لا تختلفان كثيراً في المعنى، فقـراءة

---

[72]. الطبري. جامع البيان، ج: 10، ص: 292 ـ 293.

[73]. ابن عطية. المحرر الوجيز، ج: 2، ص: 187.

[74]. أبو حيان. البحر المحيط، ج: 4، ص: 244.

البناء للمجهول تقتضي نائب فاعل، والفاعل الحقيقي محذوف للعلم بـه، وهـو ا سبحانه وتعالى، ومن هنا فإنه حذِف، أما قراءة البناء للمعلوم فهي بتقـدير ضـمير يعود على ا سبحانه وتعالى؛ لأنه هو الذي يتقبل من عباده الأعمـال الـصالحة، وبهذا المعنى قال السمين الحلبي: " والعامةُ على «تُقُبل» مبنياً للمفعول حذِف فاعلـه لعظمته وللعلم به. وقرأ يزيد بن قطيب: «ما تَقَبل» مبنياً للفاعل، وهو ضمير الباري تبارك وتعالى"[75].

ويقول ابن كثير في تفسير الآية الكريمة: " فَأَخْبر تَعـالى أَنهـم إِن لَـم يؤْمِنُـوا بِرسولِهِ ويتَابِعوه على ما بعثَه بِهِ، ووافَوا الله يوم الْقِيامةِ على ما هم علَيهِ، فَإِنه لَـا ينْفَعهم قَرابةُ قَرِيبٍ ولَا شَفَاعةُ ذِي جاهٍ، ولَا يقْبلُ مِنْهم فِداء، ولَو بِمِلْءِ الْأَرضِ ذَهبا، كما قَالَ تَعالَى: "مِن قَبلِ أَن يأْتِي يوم لَا بيع فِيهِ ولا خُلَةٌ ولا شَفَاعةٌ"[76]، وقَالَ "لَا بيع فِيهِ ولا خِلالٌ"[77]"[78].

إذن فإن الآية القرآنية الكريمة تتحدث عن عدم إمكانية الوصول إلـى الـشفاعة للكفار والمشركين الذين أشركوا با تعالى، ولو استطاعوا أن يفتدوا أنفسهم بمـلء الأرض ذهباً، أو ما كان ضعفاً له، فإنهم لن يتقبل منهم هذا كله، وأن ا سـيعذبهم جراء ما أشركوا وكفروا به.

ومما سبق يتضح لنا أن قراءة يزيد بن قطيب تتمثل بأنهـا تأخـذ حالـة البنـاء للمعلوم، في حين أن قراءة الجمهور تأخذ حالة البناء للمجهول، وثمـة فـرق بـين القراءتين، يتمثل جزء من هذا الفرق بالناحية التركيبية، والجزء الثاني يتمثل بالناحية الدلالية.

أما الناحية التركيبية فإن قراءة البناء للمجهول تتطلب أن يكون هناك نائباً للفاعل، يحل محله تركيبياً، فلا يمكن أن يحذف الفاعل دون أن ينوب عنه شيء ما، وينوب

---

[75]. السمين الحلبي. الدر المصون، ج: 4، ص: 256.

[76]. سورة البقرة، آية: 254.

[77]. سورة إبراهيم، آية: 31.

78. ابن كثير. أبو الفداء إسماعيل بن عمر البصري (1999م). تفسير القرآن العظيم، تحقيـق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ج: 1، ص: 256.

عن الفاعل أشياء هي: المفعول به، وظرف الزمان، وظـرف المكـان، ومـصدر، ومجرور[79].

فهذه الأشياء تنوب عن الفاعل، ويتوجب علينا في قراءة الجمهور أن نقدر واحداً من هذه الأشياء الخمسة كي تنوب عن الفاعل المحذوف، ويظهر لنـا أنـه ضـمير مستتر عائد على ما افتدوا به، تقديره "هو"، أي أنه المفعول به.

أما قراءة يزيد بن قطيب فالأمر فيها مختلف، إذ إن الفعل مبني للمعلوم، والبنـاء للمعلوم لا يقتضي تقدير نائب للفاعل، وإنما يقتضي إيجاد فاعل، وهـو فـي الآيـة الكريمة كما ذُكر عند المفسرين ضمير عائد على ا سبحانه وتعالى، فهـو الـذي يتقبل من عباده.

أما من الناحية الدلالية، فإن قراءة البناء للمجهول تفيدنا أن الفاعل معلـوم لـدى المتلقي لذا حذف، فالعلم بالفاعل أدى إلى حذفه، هذا من ناحية، ومن ناحية أخـرى فإن حذف الفاعل كان ناتجاً عن تعظيمه، فالفاعل هو ا سبحانه وتعالى، فمن بـاب تعظيمه سبحانه وتعالى حذف الفاعل في هذه الآية، في حين أن كل هـذه الأمـور تختلف في قراءة يزيد بن قطيب، إذ الفعل مبني للمعلوم، وبالتالي فإن الفاعل مذكور في الجملة، وهو ا سبحانه وتعالى.

وننتقل فيما يلي للحديث عن آية قرآنية كريمة تحتوي قراءة أخرى ليزيـد بـن قطيب، يقول ا سبحانه وتعالى: "وخَسفَ الْقَمر"[80].

تحتوي هذه الآية القرآنية الكريمة على فعل هو "خَسفَ" وهو مسند للقمر، ولقـد ورد في هذا الفعل قراءة أخرى، وهي قراءة البناء للمجهول، في حـين أن عامـة القراء قرأوه بالبناء للمعلوم، يقول أبو حيان في هذه الآية الكريمة: " وقَرأَ الْجمهور:

---

79. انظر: المرادي. توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، ج: 2، ص: 598، وابن هشام. أبو محمد جمال الدين عبد ا بن يوسف بن أحمد (د.ت). أوضح المسالك إلـى ألفيـة ابن مالك، تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ج: 2، ص: 120.

80. سورة القيامة، آية: 8.

وخَسفَ مبنيا لِلْفَاعِل وأَبو حيوةَ وابن أَبِي عبلَةَ ويزيد بن قُطَيبٍ وزيد بن عِلِي: مبنيا لِلْمفْعول. يقَالُ: خَسفَ الْقَمر وخَسفَه الله، وكَذَلِك الشمس"[81].

في كلام أبي حيان السابق إشارة واضحة إلى دلالة الفعل في حال بنائه للمجهول أو بنائه للمعلوم، ففي حالة البناء للمعلوم يكون الفعل مسند إلى القمر، أي أن القمر هو الفاعل للفعل، وإن كان فاعلاً غير حقيقي، في حين أن حالة البناء للمجهول تدل على أن ا سبحانه وتعالى هو الذي يخسف القمر يوم القيامة.

أما السمين الحلبي فلا يبتعد كثيراً عن كلام أبي حيان السابق، حيث يقول في هذه الآية مشيراً إلى قراءة يزيد بن قطيب الشامي: " قوله: {وخَسفَ} : العامةُ على بنائِه للفاعل. وأبو حيوة وابن أبي عبلة ويزيد بن قطيب «خُسِفَ» مبنياً للمفعول؛ وهذا لأن خَسفَ يستعمل لازماً ومتعدياً يقال: خَسفَ القمر وخَسفه ا ، وقد اشْتُهر أن الخُسوفَ للقمرِ والكُسوفَ للشمسِ"[82].

إذ نرى أن السمين الحلبي لم يزد على كلام أبي حيان السابق إلا أنه ذكر أن المشهور عند العرب أن يقال: خسف القمر، وكسفت الشمس، فالخسوف للقمر والكسوف للشمس.

ومعنى "خسف القمر" أي ذهب ضوءه[83]، غير أن بعض المفسرين يشير إلى أن هذه الآية القرآنية الكريمة لا تتحدث عن القمر الحقيقي المعروف لدينا، وإنما هي محتوية على غريب من غرائب التفسير والتأويل وهو أن المقصود بالقمر هاهنا بياض العين، فالمعنى أن بياض العين هو المخسوف أي يذهب بياض العين[84].

---

[81]. أبو حيان. البحر المحيط، ج: 10، ص: 340.

[82]. السمين الحلبي. الدر المصون، ج: 10، ص: 568.

83. الواحدي. أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد (1994م). الوسيط في تفسير القرآن المجيد، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، وأحمد محمد صيرا، وأحمد عبد الغني الجمل، وعبد الرحمن عويس، قدمه وقرضه: عبد الحي الفرماوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ج: 4، ص: 391.

84. انظر: الكرماني. أبو القاسم محمود بن حمزة بن نصر (د.ت). غرائب التفسير وعجائب التأويل، دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة ـ السعودية، ومؤسسة علوم القرآن، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى، ج: 2، ص: 1280.

ولكن حين ندقق النظر في نص الآية الكريمة وما يجاورها من الآيات، فإن السياق القرآني يبين لنا أن المقصود هو القمر نفسه، وذلك أن هذه الآية تتبعها آية أخرى وهي قوله سبحانه: "وجمِعَ الشمس والْقَمر"[85]، فمجيء الشمس والقمر في هذه الآية الكريمة التالية للآية التي نحن في صدد الحديث عنها يبين لنا أن هذا من باب العودة في المعنى على ما سبق، فيكون بذلك القصد القمر الحقيقي، وأنه هو المخسوف.

أما ابن عطية فقد فصل الحديث في هذه الآية القرآنية الكريمة، وقام بتوجيه القراءة توجيهاً لغوياً غير أنه لم يذكر أن يزيداً قرأ بقراءة البناء للمجهول، حيث قال: " وقرأ جمهور الناس: «وخسف القمر» على أنه فاعل، وقرأ أبو حيوة: «خسف» بضم الخاء وكسر السين و «القمر» مفعول لما يسم فاعله. يقال خسف القمر وخسفه الله، وكذلك الشمس، وقال أبو عبيدة وجماعة من اللغويين الخسوف والكسوف بمعنى واحد، قال ابن أبي أويس: الكسوف ذهاب بعض الضوء والخسوف ذهاب جميعه، وروي عن عروة وسفيان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا تقولوا كسفت الشمس ولكن قولوا خسفت»"[86].

أما النسفي فيقول في هذه الآية دون أن ينسب القراءة ليزيد بن قطيب أيضاً، بل ينسبها لأبي حيوة فقط: " {وخسف القمر} وذهب ضوءه أو غاب من قوله فخسفنا به وقرأ أبو حيوة بضم الخاء"[87].

وبعد هذا التفصيل في بيان معنى الآية القرآنية الكريمة، والحديث عن القراءة فلا بد لنا من أن نوجه هذه القراءة وفق ما نراه بناء على ما سبق من كلام العلماء، إذ إن القراءة بالمجهول تعني أن هناك فاعلاً غير القمر يقوم بفعل الخسف الواقع على القمر نفسه، وهو الله سبحانه وتعالى، فهو القادر على أن يخسف القمر يوم القيامة،

---

85. سورة القيامة، آية: 9.

86. ابن عطية. المحرر الوجيز، ج: 5، ص: 403.

87. النسفي. أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين (1998م). مدارك التنزيل وحقائق التأويل، تحقيق: يوسف علي بديوي، راجعه: محيي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ج: 3، ص: 571.

أما قراءة البناء للمعلوم فيعني ذلك أن القمر سيخسف بتلقاء نفسه، والواقع أن هـذا الأمر يجعلنا نتساءل كيف يمكن للقمر أن يخسف نفسه؟ أو كيف له أن يقوم بفعـل الخسف؟

لا بد للقمر حين ينخسف يوم القيامة أن يكون ذلك بأمر ا تعالى، فـلا يمكـن للقمر بذاته أن يخسف نفسه، خصوصاً وأنه من الجمادات التي لا حـس فيهـا ولا روح، وبالتالي فلا يمكنه أن يقوم بعمل من الأعمال، لذا كانت قراءة البناء للمجهول أوجه.

وقراءة البناء للمجهول التي قرأ بها يزيد بن قطيب الشامي وغيره معـه تُحـدِث شيئاً من التوازن التركيبي في الآيات والسياق القرآني، إذ إن الآية الكريمة متبوعـة بآية أخرى هي: " وجمِع الشمس والْقَمر"[88]، وهي مبدوءة كما نـرى بفعـل مبنـي للمجهول، وهي قراءة عامة القراء، ولم يرد فيها غير هذه القراءة، فحينما تبدأ الآية الثامنة بفعل مبني للمجهول، ثم تبدأ الآية التاسعة بفعل مبني للمجهول هـي أيـضاً يحدث التوازن في السياق التركيبي للآيات الكريمة، وهو ما نراه في قراءة يزيد بن قطيب دون قراءة الجمهور.

وعلاوة على ما سبق فإن القراءة المنسوبة ليزيد بن قطيب الشامي أحدثت تغييراً في البناء التركيبي للآية الكريمة، وهو ما كان القدماء قد تحدثوا عنه من وجهة نظر الإسناد، حيث أشاروا فيما ذكروا أن الآية في حال بنائها للمجهول لا بد لهـا مـن فاعل وهو ا عز وجل، وأن القمر يكون في هذه الحالة مفعولاً به، فـي حـين أن قراءة الجمهور تشير إلى أن القمر هو الفاعل، وهذا تغير في تركيب الجملـة بـين القراءتين، ففي حين أن الأولى تحتوي شكلاً تركيبياً مخصوصاً، تحتوي الثانية شكلاً تركيبياً آخر مختلفاً عن الشكل الأول، وهذا الاختلاف التركيبي لا بد من أن يعقبـه اختلاف دلالي ناتج عن اختلاف التركيب، فالبناء للمجهول دليل على حذف الفاعل، والفاعل هو ا سبحانه وتعالى، وقد حذِف في هذه القراءة للعلم به، ولسموه وعلوه، إضافة إلى تعظيمه سبحانه وتعالى، إذ هو القادر على خسف القمر يوم القيامة.

---

[88]. سورة القيامة، آية: 9.

وفي نهاية حديثنا عن التحولات التركيبية بين البناء للمجهول والبناء للمعلوم في قراءة يزيد بن قطيب الشامي لا بد لنا من أن نسجل بعض الملحوظات والنتائج، وهي كما يلي:

أولاً: لقد كان الحديث في القراءات الواردة عن يزيد بن قطيب الشامي في حال البناء للمجهول، وحتى في حال البناء للمعلوم ترتبط تركيبياً با سبحانه وتعالى: فاعل: خُسف، هو ا ، وفاعل: تقبل، هو ا أيضاً، وفاعل: أنزل، هو ا تعالى أيضاً، وفاعل: أُظْلِم، هو ا ، ففي جميع الأفعال التي طرأ عليها تحول تركيبي في قراءة يزيد بن قطيب كان الفاعل فيها ا سبحانه وتعالى.

ثانياً: لقد حذف الفاعل في القراءات التي احتوت أفعالاً مبنية للمجهول للعلم به، ولتكريمه وتعظيمه، فهو ا سبحانه وتعالى، فحذف الفاعل من أجل التعظيم.

ثالثاً: يمثل التحول بين المبني للمعلوم والمبني للمجهول في قراءة يزيد بن قطيب ظاهرة، إذ هو أكثر الظواهر المتكررة في قراءته، حيث وردت عنه أربعة مواضع تحتوي تحولاً بين البناء للمجهول والبناء للمعلوم.

وفيما يلي ننتقل إلى مبحث جديد من مباحث هذا الفصل، راجين من ا سبحانه وتعالى العون والتوفيق.

2.3 التناوب بين صيغتي "فعل" و"أفعل":

إن مما لوحظ في القراءات القرآنية عموماً التناوب بين صيغتين صرفيتين، كصيغتي "فعل" و"أفعل" اللتين سنتحدث عنهما في هذا المبحث إن شاء ا تعالى.

وثمة قراءة ليزيد بن قطيب تختلف عن قراءة الجمهور، حيث يقرأ الجمهور ب"فعل" في حين أن يزيداً يقرأ بصيغة "أفعل"، وذلك في الآية القرآنية: "وَإِن كُنْتُم فِي رَيبٍ مِما نَزلْنَا علَى عبدِنَا فَأْتُوا بِسورةٍ مِن مِثْلِهِ وادعوا شُهداءكُم مِن دون اللهِ إِن كُنْتُم صادِقِين"[89].

---

[89]. سورة البقرة، آية: 23.

يقول ابن عطية معلقاً على هذه الآية الكريمة: " الريب الشك، وهذه الآية تقتضي أن الخطاب المتقدم إنما هو لجماعة المشركين الذين تحدوا، وتقدم تفسير لفظ سورة في صدر هذا التعليق. وقرأ يزيد بن قطيب: «أنزلنا» بألف"[90].

فقراءة يزيد بن قطيب كما رأينا من خلال كلام ابن عطية تختلف عن قراءة الجمهور بأنها أتت بصيغة "أفعل" في حين أن الجمهور قرأوا بصيغة "فعل"، ومن هنا حصل الاختلاف في الصيغ بين القراءتين.

أما أبو حيان فيبين لنا أن "أنزلنا" هي مرادفة في المعنى والدلالة لـ "نزلنا" بالتضعيف، وأنه لا فرق بين "أنزلنا، ونزلنا" والدليل على عدم الفرق بينهما أن يزيداً بن قطيب قرأ بالهمزة، في حين أن الجمهور قرأوا بالتضعيف، فقراءة يزيد بن قطيب دليل على انتفاء الفرق بين هذه وتلك، ومن ناحية أخرى فإن أبا حيان ينفي وجود دلالة نزول القرآن منجماً مرتبطة بـ "نزنا"، بل إن التضعيف هاهنا للتعدية، مثله مثل همزة التعدية، يقول أبو حيان: "ونَزَلْنَا التضعِيفَ فِيهِ هنَا لِلنقْل، وهو الْمرادِفُ لِهمزةِ النقْل. ويدل علَى مرادِفَتِهما فِي هذِهِ الْآيةِ قِراءةُ يزيد بن قَطِيبٍ مما أَنْزَلْنَا بِالْهمزةِ، ولَيس التضعِيفُ هنَا دالا علَى نُزولِهِ منَجما فِي أَوقَاتٍ مخْتَلِفَة"[91].

ويقول الثعلبي في نزول هذه الآية الكريمة: "وإن كُنْتُم فِي ريبٍ الآية نزلت في الكفّار، وذلك أنهم قالوا لما سمعوا القرآن: ما يشبه هذا كلام ا وإنّا لفي شك منه، فأنزل ا تعالى وإن كُنْتُم يا معشر الكفّار"[92].

ويبين الطبري من قبل هؤلاء ما كانت من أجله الآية الكريمة، إذ يقول: "وهذا من ا عز وجل احتجاج لنبيه محمد صلى ا عليه وسلم على مشركي قومه من العرب ومنافقيهم، وكفار أهل الكتاب وضلالهم، الذين افتتح بقصصهم قوله جل ثناؤه:"إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم"، وإياهم يخاطب بهذه الآيات، وضرباءهم يعني بها، قال ا جلّ ثناؤه: وإن كنتم أيها المشركون من العرب والكفار من أهل الكتابين، في شك –وهو الريب- مما نزلنا على عبدنا محمد صلى

---

[90]. ابن عطية. المحرر الوجيز، ج: 1، ص: 106.

[91]. أبو حيان. البحر المحيط، ج: 1، ص: 167.

[92]. الثعلبي. الكشف والبيان، ج: 1، ص: 167.

ا عليه وسلم من النور والبرهان وآيات الفرقان: أنه من عندي، وأنّي الذي أنزلتـه إليه، فلم تُؤمنوا به ولم تصدقوه فيما يقول، فأتوا بحجة تدفع حجته، لأنكم تعلمون أن حجةَ كلّ ذي نبوة على صدقه في دعواه النبوة: أن يأتي ببرهان يعجز عن أن يأتي بمثله جميع الخلق. ومن حجة محمد صلى ا عليه وسلم على صدقه، وبرهانه على حقيقة نبوته، وأن ما جاء به من عندي – عجز جميعكم وجميع من تستعينون به من أعوانكم وأنصاركم، عن أن تَأتوا بسورةٍ من مثله. وإذا عجزتم عن ذلك –وأنتم أهل البراعة في الفصاحة والبلاغة والذرابة – فقد علمتم أن غيركم عما عجزتم عنه من ذلك أعجز. كما كان برهان من سلف من رسلي وأنبيائي على صدقه، وحجته على نبوته من الآيات، ما يعجز عن الإتيان بمثله جميع خلقي"[93].

وكلام الطبري السابق يضعنا في جو الآية القرآنية، وأنها إنما نزلت حجة للنبـي الكريم ـ صلى ا عليه وسلم ـ.

ويبين الزمخشري الفرق بين "أنزل ونزل" من خلال حديثه عن مصدر كل مـن هذين الفعلين، إذ يقول: " فان قلت: لم قيل: (مِما نَزلْنا) علـى لفـظ التنزيـل دون الإنزال؟ قلت:

لأن المراد النزول على سبيل التدريج والتنجيم، وهو من مجازه لمكـان التحـدي. وذلك أنهم كانوا يقولون: لو كان هذا من عند الله مخالفاً لما يكون من عند الناس، لم ينزل هكذا نجوما سورة بعد سورة وآيات غب آيات، على حسب النـوازل وكفـاء الحوادث وعلى سنن ما نرى عليه أهل الخطابة والشعر، من وجود ما يوجد مـنهم مفرقا حيناً فحيناً، وشيئاً فشيئا حسب ما يعن لهم من الأحوال المتجـددة والحاجـات السانحة، لا يلقى الناظم ديوان شعره دفعة، ولا يرمى النـاثر بمجمـوع خطبـه أو رسائله ضربة، فلو أنزله الله لأنزله خلاف هذه العادة جملة واحدة"[94].

فالفرق كما نرى من خلال كلام الزمخشري يتمثل في أن "التنزيل" يكون علـى سبيل التنجيم سورة سورة وآية آية، على حسب الوقائع والحوادث، فـي حـين أن "الإنزال" في عكس ذلك، أي أنه يكون دفعة واحدة.

---

[93]. الطبري. جامع البيان، ج: 1، ص: 373.

[94]. الزمخشري. الكشاف، ج: 1، ص: 96 ـ 97.

في حين أن أصحاب المعاجم يذكرون أن "التنزيل" يكون على سبيل التدرج والمهلة، وهو ما قد ذكره الزمخشري من قبل[95].

يظهر لنا أن هناك فرقاً بين معنى "أنزل، ونزل" في أصل اللغة، غير أن ما نراه في قراءة يزيد بن قطيب الشامي يتمثل في إحلال "انزل" محل "نزل" فأصبح هنالك شيئاً من التناوب بين هاتين الصيغتين، حيث جاءت "أنزل" بمعنى "نزل" في قراءة يزيد، وهو ما ذكره أبو حيان من قبل، حيث بين أن التضعيف والهمزة في القراءتين جاءا للتعدية، ولا فرق بين هذه وتلك.

وبعد عرض هذه القراءة المنسوبة ليزيد بن قطيب الشامي يتبين لنا ما يلي:

أولاً: تأتي "أفعل" بمعنى "فعل" في القرآن الكريم، وخير ما يدل عليه قراءة يزيد هذه، فقد حلت "أفعل" محل "فعل" دون أن يكون هناك اختلاف في المعنى.

ثانياً: إن الصيغ الصرفية قد تتناوب فيما بينها لتؤدي معانياً مختلفة، وهذه المعاني تكون ذات ارتباط وثيق بالصيغة الصرفية، ويكون وفقها تحديد الدلالة العامة للآيات، وإن اختلفت بعض الصيغ فإنها لا تتباعد في معانيها.

ثالثاً: قد تكون صيغة "أفعل" مختلفة الدلالة عن صيغة "فعل" في الآية الكريمة، ولكن هذا المذهب تدحضه قراءة يزيد بن قطيب.

وبهذا الكلام ننتهي من الحديث عن هذا المبحث في قراءة يزيد بن قطيب، ولقد رأينا أن يزيداً لم يكن له عدد كبير من القراءات في هذا الوجه من وجوه القراءة، والله أعلم.

3.3 المنصوبات:

وفيما يلي سنتحدث عن القراءات المنسوبة ليزيد بن قطيب في باب المنصوبات، والفيصل في تصنيفنا للقراءة يتمثل بنص القرآن الكريم، فالآية القرآنية المحتوية على كلمة منصوبة، وهذه الكلمة هي موضع القراءة نعتمدها في بابها.

---

95. انظر: الجوهري. أبو نصر إسماعيل بن حماد (1987م). الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، الطبعة الرابعة، ج: 5، ص: 1829.

والمنصوبات كما يصنفها علماء النحو ترتبط بحركة نهاية الكلمة، فكـل كلمـة تنتهي بفتحة عدها العلماء من المنصوبات، هذا من الناحية الشكلية، أما من الناحيـة العميقة فإن الاسم المنصوب لا بد من وقوع عمل عامل عليه، فحركة النصب ليست إلا علامة على المفعولية هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فهي أثر للعامل الـداخل على الاسم.

وتشمل المنصوبات المفاعيل الخمسة: المفعول به، والمفعول المطلق، والمفعـول معه، والمفعول فيه، والمفعول لأجله، إضافة إلى مـا شُـبه بـالمفعول كـالإغراء والتحذير، والاختصاص، والاشتغال، والنداء، والحال، والاستثناء، فهذه كلها تـدخل ضمن دائرة المنصوبات.

ويرد عن يزيد بن قطيب بعض القراءات الداخلة ضمن إطار دائرة المنصوبات، ومنها ما جاء في قوله تعالى: "وجعلُوا لِلهِ شُركاء الْجِن وخَلَقَهم وخَرقُوا لَـه بنِـين وبنَاتٍ بِغَير عِلْمٍ سبحانَه وتَعالَى عما يصِفُون"[96].

يبين الدرويش إعراب هذه الآية الكريمة، فيذكر أن "شركاء" مفعول به ثانٍ للفعل "جعلوا"، وأن "الجن" مفعول به أول للفعل المذكور نفسه، وإنما تقدم المفعول الثـاني على الأول لبيان أهمية المفعول الثاني، ولعظمة ما اقترفوا من ذنب مـن اتخـاذهم هؤلاء الشركاء[97].

ولقد ورد في هذه الآية القرآنية الكريمة قراءتين: الأولى بالرفع والثانية: بـالجر، عدا قراءة الجمهور الماثلة أمامنا بالنصب.

يقول ابن عطية متحدثاً عن هذه القراءات: " وقرأ شعيب بن أبي حمزة «شركاء الجن» بخفض النون، وقرأ يزيد بن قطيب وأبو حيوة «الجـن والجـن» بـالخفض والرفع على تقديرهم الجن"[98].

---

[96]. سورة الأنعام، آية: 100.

97. درويش. محيي الدين بن أحمد مصطفى (1415هـ). إعراب القرآن وبيانه، دار الإرشـاد للشئون الجامعية، حمص ـ سوريا، ودار اليمامة، دمشق ـ بيروت، ودار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، الطبعة الرابعة، ج: 3، ص: 186.

[98]. ابن عطية. المحرر الوجيز، ج: 2، ص: 329.

ويقول أبو حيان موجهاً القراءة: " انْتَصب الْجِن علَى إِضمارِ فِعل جوابِ سـؤَالٍ مقَدرٍ كَأَنه قِيلَ من جعلُوا لِلهِ شُركاء قِيلَ: الْجِن أَي جعلُوا الْجِن ويؤَيد هذا المعنـى قراءة أبي حيوة ويزِيد بن قُطَيبٍ الْجِن بِالرفْعِ علَى تَقْدِيرِهِم الْجِن جوابا لِمن قَالَ: من الَذِي جعلُوه شَرِيكًا فَقِيلَ لَه: هم الْجِن ويكُون ذَلِك علَى سبِيلِ الِاستِعظَامِ لِما فَعلُوه والِانْتِقَاصِ لِمن جعلُوه شَرِيكًا لِله"[99].

أما السمين الحلبي فيذكر لنا قراءة النصب على أنها جواب لسؤال من سأل: مـن جعلوا شركاء؟ فقال: الجن، ويؤيد ذلك قراءة يزيد بن قطيـب بـالرفع، يقـول: "«الجن» منصوباً بفعل مضمر جواب لسؤال مقدر، كأن سائلاً سأل فقال بعد قولـه تعالى {وجعلُواْ للهِ شُركَآء} : من جعلوا شركاء؟ فقيل: الجن، أي: جعلوا الجـن، نقله الشيخ عن شيخه أبي جعفر بن الزبير، وجعله أحسن مما تقدم قال: «ويؤَيد ذلك قراءةُ أبي حيوة ويزيد بن قطيب» الجن «رفعاً على تقدير: هم الجن، جوابـاً لمـن قال: [من] جعلوا شركاء؟ فقيل: هم الجن، ويكون ذلك على سبيل الاستعظام لمـا فعلوه والاستنقاص بمن جعلوه شريكاً تعالى. وقال مكي:» وأجاز الكسائي رفـع «الجن» على معنى هم الجن «، فلم يروها عنه قراءةً، وكأنه لم يطلع على أن غيره قرأها كذلك"[100].

أما النعماني فلم يزد على ما قاله من قبله من العلماء في هذه الآية الكريمة، بـل اكتفى بذكر القراءة فحسب، يقول: " وقرأ شعيب بن أبي حمزة، ويزيد بن قطيـب، وأبو حيوة في رواية عنهما أيضاً» شركاء الجن «بخفض "الجن""[101].

ويظهر لنا من خلال كلام العلماء السابق أن قراءة النصب قد وجهت على أنهـا جواب لسؤال من سأل: من جعلوا شركاء؟ فيكون الجواب على ذلك: الجن، أي: جعلوا الجن، غير أن قراءة الرفع تختلف، وذلك أن التقدير فيها لا بد وأن يتوافق مع

---

[99]. أبو حيان. البحر المحيط، ج: 4، ص: 602 ـ 603.

[100]. السمين الحلبي. الدر المصون، ج: 5، ص: 85.

101. النعماني. أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل (1998م). اللبـاب فـي علـوم الكتاب، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيـروت، لبنان، الطبعة الأولى، ج: 8، ص: 336.

طبيعة الحركة الإعرابية، فحركة الرفع دالة على الفاعلية، أو الابتداء، فلا بـد مـن تقدير ابتداء هاهنا، فيكون التقدير على ذلك "هم الجن".

فتوجيه قراءة الرفع على الابتداء، في حين أن قراءة الجر واضحة أنهـا علـى الإضافة، أي: شركاء من الجن، وهذه القراءة لم يذكرها العلماء والمفـسرون فـي كتبهم كما رأينا، بل ركّزوا حديثهم على قراءة النصب والرفع.

وفي موضع آخر من قراءة يزيد بن قطيب يتمثل بقوله تعالى: "فَـالِقُ الْإِصـباحِ وجعلَ الليلَ سكنًا والشمس والْقَمر حسبانًا ذَلِك تَقْدِير الْعزِيزِ الْعلِيمِ"[102].

يذكر النحاس في إعرابه أن يزيداً بن قطيب قد قرأ "الشمسِ" بالجر، وهو عطف على مجرور قبله، يقول النحاس: "والشمس والْقَمر حسباناً نصب الـشمس والقمـر عطفا على المعنى أي وجعل، والخفض بعيد لضعف الخافض وأنك قد فرقت، وقـد قرأ يزيد بن قطيب السكوني وجاعل الليل سكنا والشمس والقمر"[103].

ويقول القرطبي مبيناً وجه هذه القراءة وأنها عطف على اللفظ: "وقَد قَرأَ يزِيد بن قَطِيبٍ السكُونِي" جاعِلُ الليل سكنًا والشمسِ والْقَمرِ حسبانًا" بِالْخَفْضِ عطْفًـا علَـى اللفْظِ. قُلْتُ: فَيرِيد مكي والْمهدوِي وغَيرهما إِجماع الْقُراءِ السبعةِ. والله أَعلَم"[104].

ويتحدث الثعلبي عن هذه الآية الكريمة، غير أنه ينسب القراءة إلى شخص اسمه يزيد بن قعنب، ولم نسمع بهذا في غيره من المصادر، حيث يقول: "والشمس والْقَمر حسباناً أي جعل الشمس والقمر بحساب لا يجاوزاه حتى ينتهيا إلى أقصى منازلهما. وقرأ [يزيد بن قعنب] : والشمسِ والْقَمرِ بالخفض عطفا على اللفظ، والحسبان مصدر كالنقصان والرحمان وقد يكون جمع حـساب مثـل شـهاب وشـهبان، وركـاب وركبان"[105].

وبعد النظر الدقيق في كلام الثعلبي السابق يتبين لنا أن المحقق قد أخطأ في قراءة الاسم، فثمة تشابه كبير بين قولنا: "قطيب، وقعنب"، فالكلمتان متشابهتان في الشكل،

---

[102]. سورة الأنعام، آية: 96.

[103]. النحاس. إعراب القرآن، ج: 2، ص: 33.

[104]. القرطبي. الجامع لأحكام القرآن، ج: 7، ص: 45.

[105]. الثعلبي. الكشف والبيان، ج: 4، ص: 172.

ومن هنا قد اختلاط الأمر في الاسم، وهذا ما نراه تفسيراً معقولاً لهذا الاسم، وأنه هو نفسه يزيد بن قطيب وليس قارئاً ثانياً.

أما الكرماني فيذكر لنا أن هناك من قرأ: "جاعل الليل"، وهنا لا ينتصب "سـكناً" بـ "جاعل"، والأمر ذاته مع "الشمس والقمر" بل تنتصب هذه بفعل مـضمر عنـد البصريين، في حين أجاز ذلك الكوفيون، يقول: "قوله: (وجعلَ الليلَ سـكَنًا) ، مـن أضاف نصب سكنا بفعل مضمر
دل عليه جاعل، أي جعله سكناً، وكذلك قوله: (والشمس والْقَمر حسبانًا) أي جعلهما
ولا ينتصب باسم الفاعل عند البصريين، لأنه
بمعنى الماضي، وأجاز ذلك الكوفيون"[106].

أما الزمخشري فيفصل الحديث في هذه الآية الكريمة، ويتناول القـراءتين، بـل ويزيد عليهما قراءة ثالثة بالرفع، حيث يقول: "وجاعل الليل سكناً، بالنـصب علـى المدح. وقرأ النخعي: فلق الإصباح وجعل الليل. والسكن: ما يـسكن إليـه الرجـل ويطمئن استئناسا به واسترواحاً إليه، من زوج أو حبيب. ومنه قيل للنار: سكن، لأنه يستأنس بها. ألا تراهم سموها المؤنسة، والليل يطمئن إليه التعب بالنهار لاستراحته فيه وجمامه «3» . ويجوز أن يراد: وجعل الليل مسكوناً فيه من قوله لتسكنوا فيـه والشمس والْقَمر قرئا بالحركات الثلاث، فالنصب على إضمار فعل دل عليه جاعـل الليل، أى وجعل الشمس والقمر حسباناً. أو يعطفان على محل الليل. فإن قلت كيف يكون لليل محل والإضافة حقيقية، لأن اسم الفاعل المضاف إليه في معنى المضى، ولا تقول: زيد ضارب عمرا أمس؟ قلت: ما هو في معنى المضى، وإنما هـو دال على جعل مستمر في الأزمنة المختلفة، وكذلك فالق الحب، وفالق الإصـباح، كمـا تقول: ا قادر عالم، فلا تقصد زماناً دون زمان، والجر عطف على لفـظ الليـل، والرفع على الابتداء، والخبر محذوف تقديره: والشمس والقمر مجعولان حسباناً، أو محسوبان حسباناً"[107].

---

[106]. الكرماني. غرائب التفسير وعجائب التأويل، ج: 1، ص: 375.

[107]. الزمخشري. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ج: 2، ص: 49 ـ 50.

فكلام الزمخشري السابق يبين لنا أوجه القراءة الثلاثة، فقد جعل من قراءة الجر وهي قراءة يزيد بن قطيب الشامي على محل الليل، فحين يكون الليل مضافاً إليه يكون مجروراً، وبالتالي فإن الشمس والقمر عطفتا على محل الجر في "الليل"، وإن لم يكن الجر حاصلاً فيها، وإن كانت الدلالة عند البصريين ترتبط بالزمن الماضي، فإن ذلك لا يتعلق دائماً بصفات ا تعالى، فصفاته سبحانه لا ترتبط بزمن دون آخر.

وبعد هذا الحديث عن آراء المفسرين في هذه الآية الكريمة نتحدث عن توجيه قراءة الجر عند بن قطيب، حيث وجهت قراءة الجر على أنها عطف على اللفظ، أي أنها معطوفة على "الإصباح"، أو معطوفة على "جاعل الليل" في حالة القراءة باسم الفاعل دون الفعل، وهذا العطف على اللفظ استبعده كثير من المفسرين ومن بينهم النحاس، وذلك لوجود الفاصل بين المتعاطفين، مما يضعف الوجه، ويقوي وجه القراءة بالنصب.

وفي باب النداء وهو من أبواب المنصوبات نُسبت قراءة ليزيد بن قطيب في قوله سبحانه وتعالى: "قَالَتْ يا ويلَتَى أَأَلِد وَأَنَا عجوز وهذَا بعلِي شَيخًا إِن هذَا لَشَيء عجِيب"[108].

إن هذه الآية الكريمة لا تحتوي أسلوب النداء احتواء صريحاً، بل تشتمل على فرع من فروع هذا الأسلوب، وهو فرع الندبة، إذ إن المندوب يعامل معاملة النداء في كافة أحواله التركيبية، فينصب ويبنى على ما يرفع به وذلك وفق القواعد التركيبية التي وضِعت لأسلوب النداء عموماً، إذن فما ينطبق على المنادى ينطبق على المندوب، وهو ما نراه في الآية القرآنية الكريمة[109].

---

108. سورة هود، آية: 72.

109. السيوطي. جلال الدين عبد الرحمن ابن أبي بكر (د.ت). همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، المكتبة التوفيقية، القاهرة، مصر، ج: 2، ص: 65.

يذكر ابن خالويه أن يزيداً قرأ "يا ويلتي" بالإضافة إلى النفس، أي أن امرأة إبراهيم عليه السلام أضافت الويل إلى نفسها، فاتصل ضمير المتكلم في نهاية الكلمة، وهذه القراءة قراءة الحسن أيضاً زيادة على أنها قراءة يزيد بن قطيب[110].

ويتحدث لنا الجوزي عن المعنى المنوط بلفظ "يا ويلتى""، وأنها لم تُرد الدعاء على نفسها، بل إنها قالت هذه الكلمة عند ورود الأمر العظيم، يقول: "يا ويلتى أألد وأنَا عجوز هذه الكلمة تقال عند الإيذان بورود الأمر العظيم. ولم تُرِد بها الدعاء على نفسها، وإنما هي كلمة تخف على ألسنة النساء عند الأمر العجيب. وقولها: أألد استفهام تعجب. قال الزجاج: وشَيخاً منصوب على الحال. قال ابن الأنباري: إنما أشارت بقولها هذا لتنبه على شيخوخته"[111].

وهذه الطريقة في النداء تسمى الندبة، وأصل الألف ياء، إذ الأصل فيها: يا ويلتي، غير أن الكسرة أبدلت فتحة، والياء أبدلت ألفاً؛ لأن الفتحة والألف أخف من الكسرة والياء[112].

أما أبو حيان فيقول في هذه الآية الكريمة: "والظهر أن الألف في يا ويلتا بدلٌ مِن ياءِ الْإِضافَةِ نَحو: يا لَهفَا ويا عجبا، وَأمالَ الْأَلِفَ مِن يا ويلتا عاصِم وَأَبو عمرو والْأَعشَى، إِذْ هِي بدلٌ مِن الْياءِ. وقَرأَ الْحسن: يا ويلِتي بِالْياءِ علَى الْأَصل. وقِيلَ: الْأَلِفُ أَلِفُ الندبةِ، ويوقف عليها بالهاء. وأصل الدعاءِ بِالْويل ونَحوِهِ فِي التفَجعِ لِشِدةِ مكْروهٍ يدهم النفْس، ثُم استُعمِلَ بعد فِي عجبٍ يدهم النفْس. ويا ويلَتَا كَلِمةٌ تَخِف علَى أَفْواهِ النساءِ إِذَا طَرأَ علَيهن ما يعجبن مِنْه، واستَفْهمتْ بِقَولِها أَأَلِد استفهام إنكار وتعجب"[113].

---

[110]. ابن خالويه. مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع، ص: 65.

[111]. الجوزي. أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد جمال الدين (1422هـ). زاد المسير في علم التفسير، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ج: 2، ص: 387.

[112]. انظر: الرازي. مفاتيح الغيب، ج: 18، ص: 375.

[113]. أبو حيان. البحر المحيط، ج: 6، ص: 183.

نرى من خلال كلام أبي حيان أنه لم ينسب القراءة إلى يزيد بن قطيب، بل اكتفى بنسبتها إلى الحسن فحسب، ولقد وجهها على أنها جاءت وفق الأصل، إذ الأصل في ألف الندبة ياء، فلما قرئ بالياء كانت القراءة وفق الأصل لا على الفرع.

ولا يبتعد القاسمي كثيراً عن كلام أبي حيان، إذ بين أن الأصل في الألف ياء المتكلم، وأن قراءة الياء قرأ بها الحسن على الأصل، يقول في ذلك: "قالَتْ يا ويلَتى أي يا عجبي. وأصله للدعاء بالويل ونحوه، في جزع التفجع لشدة مكروه يدهم النفس، ثم استعمل في التعجب. وألفه بدل من ياء المتكلم ولذلك أمالها أبو عمرو وعاصم في رواية، وبها قرأ الحسن (يا ويلتي) وقيل: هي ألف الندبة، ويوقف عليها بهاء السكت"[114].

فقراءة الجمهور بالألف المقصورة تدل على انقلاب ياء المتكلم ألفاً طلباً للتخفيف، في حين أن قراءة من قرأ بالياء نسبة للمتكلم إنما جاءت على أصل أسلوب الندبة في العربية، وهذا وجه مقبول في اللغة، وما وجه به أبو حيان القراءة للحسن هو ذاته توجيه القراءة ليزيد بن قطيب الشامي، فالقراءة متشابهة بينهما.

وثمة قراءة أخرى تنسب أيضاً للحسن ويزيد بن قطيب الشامي في هذا الباب، وهي أيضاً في الكلمة نفسها، وذلك في قوله سبحانه وتعالى: "يا ويلَتَى لَيتَنِي لَم أَتخِذْ فُلَانًا خَلِيلاً"[115].

يذكر ابن خالويه في مختصره أن الحسن ويزيد بن قطيب الشامي قرآ "يا ويلتي" بالإضافة إلى النفس، وهي القراءة ذاتها التي رأيناها في الآية السابقة[116].

إن هذه القراءة بالياء تدلنا أن يزيد بن قطيب والحسن لم يقرآ في كتاب ا تعالى إلا بالياء، فهذه الكلمة "يا ويلتى" لم ترد إلا في موضعين من كتاب ا تعالى، وذلك في سورة هود، وسورة الفرقان، وفي كلا الموضعين قرأ الحسن ويزيد بن قطيب

---

114. القاسمي. محمد جمال الدين بن محمد سعيد القاسم (1418هـ). محاسن التأويل، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ج: 6، ص: 115.

115. سورة الفرقان، آية: 28.

116. ابن خالويه. مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع، ص: 106.

بالإضافة إلى النفس وليس بالألف، يعني ذلك أن هذه القراءة قد اطردت في كتاب ا تعالى في قراءتهما.

وفي نهاية حديثنا عن القراءات المنسوبة ليزيد بن قطيب الشامي في باب المنصوبات لا بد لنا من أن نسجل بعض الملحوظات، وهي كما يلي:

أولاً: لقد تمثلت قراءات يزيد بن قطيب في باب المنصوبات بالمفعول به، سواء أكان واحداً أم اثنين، والقراءتين اللتين وجدناهما ترتبط بالمفعولين دون المفعول الواحد.

ثانياً: كانت القراءة المنصوبة عند الجمهور مجرورة عند يزيد بن قطيب، وهو أمر نراه كثيراً في النحو، فالنصب والجر متكاملان، إذ نرى مثلاً بعد إسقاط عامل الجر ينتصب الاسم، كقولنا: دخلت في المدينةِ، فحين نُسقط حرف الجر تصبح الجملة: دخلتُ المدينةَ، فتنتصب المدينة، وهذا مثال على تناوب الجر والنصب في الحالات التركيبية المختلفة.

وبهذا الكلام ننتهي من الحديث عن توجيه قراءات يزيد بن قطيب الشامي في باب المنصوبات، راجين من ا سبحانه أن يكون قد سدد في ذلك قولنا، وا ولي التوفيق.

4.3 التناوب بين الصيغ الصرفية:

قد يحدث تناوب بين المشتقات في القراءات القرآنية المختلفة، حيث تأتي الأولى بصيغة من الصيغ المخصوصة لاسم الفاعل، في حين تأتي الثانية بصيغة مخصصة لصيغة المبالغة، أو للصفة المشبهة، وهكذا، وقد يكون التناوب في إطار المشتق نفسه، حيث تأتي الصيغة الأولى مثلاً من بين صيغ الصفة المشبهة، في حين تأتي الصيغة الثانية في القراءة الثانية بصيغة أخرى مختلفة من صيغ الصفة المشبهة، والمشتقات كما نعلم هي: اسم الفاعل، واسم المفعول، والصفة المشبهة، وصيغة المبالغة، وفيما يلي سنتحدث عن قراءة ليزيد بن قطيب احتوت تبادلاً بين هذه الصيغ المختلفة.

في قوله سبحانه وتعالى: "وهو الذِي يرسِلُ الرياح بشْرا بين يدي رحمتِهِ حتى إِذَا أَقَلتْ سحابا ثِقَالًا سقْنَاه لِبلَدٍ ميتٍ فَأَنْزلْنَا بِهِ الْماء فَأَخْرجنَا بِهِ مِن كُل الثمراتِ كَذَلِك نُخْرِج الْموتَى لَعلكُم تَذَكَرون"[117].

لقد نُقل عن يزيد بن قطيب أنه قرأ في هذه الآية الكريمة "بشرى" بألف مقصورة، في حين أن قراءة الجمهور كما نرى في النص القرآني على "بشراً" دون ألف لينة في نهاية الكلمة[118].

ويذكر الطبري أن القراءة التي قرأ بها عامة القراء هي "نشراً"، بضم النون وسكون الشين، وهي مأخوذة من الريح الطيبة، فكل ريح طيبة يقول عنها العرب "نشر"، غير أن كثيراً من القراء قرأ بغير هذه القراءة، فمنهم من قرأ "بشْراً"، ومنهم من قرأ "بشُراً" بضم الباء والشين[119].

وقراءة النون تنسب إلى عامة قراء أهل الكوفة، إذ قرأ بها الكسائي وحمزة، في حين أن القراءة بالباء قرأ بها عاصم بن أبي النجود[120]، وهي ايضاً قراءة ابن مسعود، وابن عباس، وزر بن حبيش[121].

أما الزمخشري فأشار إلى قراءة "بشرى" بالألف المقصورة دون أن ينسبها إلى قارئ بعينه، وذكر أن المعنى أنها مقدمة للغيث الذي هو من أجل النعم، وأعمها على الناس[122].

ومن قرأ "الرياح" على الجمع سكّن الشين، في حين أن من قرأ "الريح" على لفظ الإفراد قرأ بضم الشين، أي: "بشُرا" لأن قراءة ضم الشين تدل على الجمع، أي

---

117. سورة الأعراف، آية: 57.

118. ابن خالويه. مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع، ص: 49 ـ 50.

119. الطبري. جامع البيان، ج: 12، ص: 490.

120. البغوي. أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد (1420هـ). معالم التنزيل في تفسير القرآن، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى، ج: 2، ص: 199.

121. الثعلبي. الكشف والبيان، ج: 4، ص: 242.

122. الزمخشري. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ج: 2، ص: 111.

تكثير الريح، في حين أن قراءة التسكين تدل على الإفراد، فناسب الإفـراد الجمـع، وناسب الجمع الإفراد[123].

أما أبو حيان فيذكر لنا القراءة بتفصيل أكثر من غيره، إذ يقول: "بشْراً بِضم الْباءِ والشين ورويتْ عن عاصِمٍ وهو جمع بشِيرةٍ كنَذِيرةٍ ونُذُرٍ، وقَرأَ عاصِم كذَلِك إلا أَنه سكن الشين تخفيفا من الضم، وقَرأَ السلَمِي أَيضا بشْراً بِفَتْحِ الْباءِ وسكُون الشين وهو مصدر بشَر الْمخَفف ورويتْ عن عاصِمٍ، وقَرأَ ابن السميقع وابن قُطَيبٍ بشْرى بِأَلِفٍ مقْصورةٍ كرجعى وهو مصدر"[124].

لا شك أن الاختلاف في الصيغة يؤدي إلى اختلاف في المعنى والدلالة، فقـراءة يزيد بن قطيب تختلف في صيغتها عن قراءة الجمهور أو عامة القـراء، فـالقراءة المكتوبة في المصحف – وهي قراءة عاصم – "بشْرا" بمعنـى مبـشرات، وهـو مصدر، ووزنه "فُعل"، وقد يكون بمعنى اسم الفاعل، أي: مبشرات، وهو ما فسر به كثير من العلماء والمفسرين كما رأينا في الكلام السابق، غير أن قراءة ابن قطيـب "بشرى" أتت على زنة: فُعلى، ولقد أشار أبو حيان إلى أن هذه الكلمة مصدر، إلا أننا نرى أن فيها معنى الصفة المشبهة من ناحيتين: الأولى: من ناحية الوزن، ففُعلى من أوزان الصفة المشبهة، والثانية: من ناحية أن كثيراً من العلماء أشاروا إلى تفـسير "بشرا" باسم الفاعل، والصفة المشبهة مشبهة باسم الفاعل، وتدل على ما يدل عليه.

ومما يلحظ في الآية الكريمة أن اختلاف الصيغة هاهنا لم يؤدي إلى اختلاف كبير في المعنى والدلالة، فالمعنى في كلتا القراءتين متوافق، فهما تدلان على التبشير من الله سبحانه وتعالى بالمطر من خلال السحاب المثقل بالماء.

يقول الله سبحانه وتعالى: "وأَصبح فُؤَاد أُم موسى فَارِغًا إِن كَادتْ لَتُبدِي بِهِ لَولَا أَن ربطْنَا علَى قَلْبِها لِتَكُون مِن الْمؤْمِنِين"[125].

ويبين لنا أبو حيان ذاكراً قراءة ليزيد بن قطيب الشامي، حيث إن هـذه القـراءة تتعلق بالتبادل بين صيغتين صرفيتين في كلمة "فارغاً"، حيث قرأ يزيد بـن قطيـب

---

[123]. الرازي. مفاتيح الغيب، ج: 14، ص: 287.

[124]. أبو حيان. البحر المحيط، ج: 5، ص: 77.

[125]. سورة القصص، آية: 10.

"فَزِعاً"، يقول أبو حيان مبيناً ذلك زيادة على من قرأ بهذه القراءة وبغيرها أيـضاً: " وقَرأَ فَضالَةُ بن عبيدٍ، والْحسن، ويزِيد بن قُطَيبٍ، وأَبو زرعةَ بن عمرو بن جريرٍ: فَزِعا، بِالزاي والْعين الْمهملَةِ، مِن الْفَزعِ، وهو الْخَوفُ والْقَلَقُ وابن عباسٍ: قَرِعـا، بِالْقَافِ وكَسرِ الراءِ وإِسكَانِها، مِن قَرِع رأْسه، إِذَا انْحسر شَعره، كَأَنه خَلَا مِن كُـلِّ شَيءٍ إِلا مِن ذِكْرِ موسى"[126].

ويبين لنا الطبري الاختلاف الذي حصل بين العلماء والمفسرين حول خلو فؤاد أم موسى، فيقول: " اختلف أهل التأويل في المعنى الذي عنى الله أنه أصبح منه فؤاد أم موسى فارغا، فقال بعضهم: الذي عنى جلّ ثناؤه أنه أصبح منـه فـؤاد أم موسـى فارغا: كل شيء سوى ذكر ابنها موسى... وقال آخرون: بل عنى أن فؤادها أصبح فارغا من الوحي الذي كان الله أوحاه إليها،، إذ أمرها أن تلقيه في الـيم فقـال (ولا تَخَافِي ولا تَحزنِي إِنا رادوه إِلَيكِ وجاعِلُوه مِن الْمرسلِين) قال: فحزنت ونسيت عهد الله إليها، فقال الله عز وجل: (وأَصبح فُؤَاد ُأم موسى فَارِغًا) من وحينا الذي أوحيناه إليها"[127].

أما الزجاج في معانيه فيذكر أن المعنى أصبح فارغاً من كل شيء إلا مِن ذِكْـرِ موسى، وقيل إلا مِن الهم بموسى والمعنى واحد[128].

وأياً كان المعنى المقصود بالآية القرآنية الكريمة فإنه ـ أي المعنى ـ في نهايـة المطاف مرتبط بموسى، وذلك لأن السياق القرآني الماثل أمامنا في الآيـة القرآنيـة الكريمة يحتم علينا أن نقول بهذا القول، فالله تعالى أتبع حديثه عن فـؤاد أم موسـى بالحديث عن موسى نفسه، فقال: إن كادت لتبدي به، أي: بموسى، ومن هنا يتبين لنا أن القصد من المعنى في نهاية المطاف موسى عليه السلام، وبالتالي فالمعنى مرتبط به.

أما الزمخشري فيبين لنا أن فؤاد أم موسى أصبح فارغاً لا عقل به لمـا علمـت بوقوع موسى في يد فرعون، وهو العدو، غير أن الله تعالى ربط على قلبهـا كـي

---

[126]. أبو حيان. البحر المحيط، ج: 8، ص: 289.

[127]. الطبري. جامع البيان، ج: 19، ص: 527 ـ 528.

[128]. الزجاج. معاني القرآن وإعرابه، ج: 4، ص: 134.

تكون من المصدقين بوعد ربها، ويدل على هذا المعنى قراءة من قرأ "قرعاً" بالقاف، أي صفراً ليس فيه شيء[129].

ويقول الجوزي في تفسير هذه الآية وبيان الوجوه الواردة فيها: " قولـه تعـالى: وَأصبح فُؤاد ُأم موسى فارِغاً فيه أربعة أقوال: أحدها: فارغاً من كل شيء إلا مـن ذِكْر موسى، رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس، وبه قال مجاهد، وعكرمة، وقتادة، والضحاك.

والثاني: أصبح فؤادها فَزِعاً، رواه الضحاك عن ابن عباس، وهي قراءة أبي رزين، وأبي العالية، والضحاك، وقتادة، وعاصم الجحدري، فإنهم قرءوا: «فَزِعـاً» بـزاي معجمة. والثالث: فارغاً من وحينا بنسيانه، قاله الحسن، وابن زيد. والرابع: فارغـاً من الحزن، لِعِلْمها أنه لم يقتَل، قاله أبو عبيدة. قال ابن قتيبة: وهـذا مـن أعجـب التفسير، كيف يكون كذلك وا ُ يقول: لَولا َأن ربطْنا على قَلْبِها؟! وهـل يـربطُ إلاّ على قلب الجازع المحزون؟!"[130].

لقد تحدث الجوزي بشكل غير مباشر عن القراءة القرآنية المنسوبة ليزيـد بـن قطيب، غير أنه لم ينسبها إليه، بل نسبها إلى غيره من القراء، وبـين أن الخـوف والفزع قد سيطرا على قلب أم موسى لما كان من بطش فرعون ببني إسرائيل.

وبعد هذا الحديث المفصل عن آراء من سبق من المفسرين عن هذه الآية الكريمة وما ورد فيها من قراءة ليزيد بن قطيب الـشامي نتحـدث عـن طبيعـة القـراءة وتوجيهها، حيث إن هذه القراءة الكريمة وردت عن يزيد بن قطيب الـشامي وهـو ليس من القراء السبعة ولا العشرة، وهي قراءة ذات وجه في العربية، إذ إنها أتـت لتدل على معنى قريب من معنى قراءة الجمهور، علاوة على أنها موافقـة لرسـم المصحف، وإن كان شكل الخط يشي بعدم موافقتها لرسم المـصحف إلا أن الأمـر على غير ذلك، فالألف التي تلي صوت الفاء لا تكتب برسم المصحف، بل هي ألف صغيرة تُلحق إلحاقاً بالخط، ومن هنا فإن صورة "فارغاً" تكون على "فرغـاً" وهـي الصورة ذاتها التي تأتي عليها كلمة "فزعاً" مع إعجام الزاي.

---

129. الزمخشري. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ج: 3، ص: 395.

130. الجوزي. زاد المسير في علم التفسير، ج: 3، ص: 376.

توحي الصيغة الشكلية لـ "فارغاً" بأنها اسم فاعل، إذ إنها أتت على زنته من الفعل الثلاثي "فرغ"، فتكون الصيغة صيغة اسم فاعل، أما صيغة "فزعاً" فهي واحدة من صيغ الصفة المشبهة أو صيغ المبالغة، فهي على زنة "فَعِل"، وهذه الصيغة مشتركة بين صيغة المبالغة وصيغة الصفة المشبهة، إذ ترد الصيغة مع المبالغة نحو: حذِر[131]، ومع الصفة المشبهة نحو: فَرح[132].

هذا الكلام ينطبق على القراءة القرآنية في حالة أن تكون "فارغاً" صيغة لاسم الفاعل، وفي واقع الأمر فإن الفعل "فرغ" لا يأتي متعدياً، بل هو فعل لازم، إذ نقول: فرغ الإناء، وبناء على ذلك فإن صيغة اسم الفاعل لا تُشتق من الفعل اللازم، بل هي مشتقة من الفعل المتعدي، فيكون الأمر على ذلك "فارغاً" صيغة للصفة المشبهة.

إذن إما أن يكون التحول من صيغتين للصفة المشبهة، أو أن يكون التحول من صيغة من صيغ الصفة المشبهة إلى صيغة من صيغ المبالغة، وإذا كان من صيغ المبالغة دل على شدة الفراغ الذي حصل في قلب أم موسى.

نرى أن "فزعاً" في قراءة يزيد بن قطيب الشامي صيغة مبالغة وليست صفة مشبهة، إذ إن الدلالة ترتبط بشدة الفزع الذي وقع في قلب أم موسى نتيجة ما كان من فراق ولدها، والفزع أيضاً من بطش فرعون، ومن هنا ربط ا على قلبها.

وأخيراً نشير إلى أن الانتقال من صيغة صرفية إلى صيغة صرفية أخرى لا بد وأن يصحبه انتقال في الدلالة، إذ إن كل صيغة من الصيغ الصرفية ذات دلالة مختلفة تماماً عن الأخرى.

وفي نهاية هذا الفصل لا بد لنا من ذكر بعض النتائج التي توصلنا إليها، وهي كما يلي:

أولاً: لقد كانت أكثر قراءات يزيد بن قطيب في باب النحو، وخصوصاً في باب المنصوبات.

---

131. الحملاوي. أحمد بن محمد (د.ت). شذا العرف في فن الصرف، تحقيق: نصر ا عبد الرحمن نصر ا ، مكتبة الرشد، الرياض، السعودية، الطبعة الأولى، ص: 62.

132. الحملاوي. شذا العرف في فن الصرف، ص: 64.

ثانياً: لم تكن القراءات الداخلة في باب الصرف تتعلق بحذف أو زيادة، وهو أمر طبيعي، إذ إن الحذف أو الزيادة يترتب عليه اختلاف رسـم المـصحف، وبالتـالي خروج القراءة من دائرة الصحة.

ثالثاً: يترتب على قراءة يزيد بن قطيب معانٍ أخرى تختلف عن معاني القـراءة التي أجمع عليها جمهور القراء، وهو ما سنبينه في الفصل اللاحق بإذن ا تعالى.

الفصل الرابع

التوجيهات الدلالية لقراءة يزيد بن قطيب

سنتناول في هذا الفصل الحديث عن التوجيهات الدلالية لقراءة يزيد بـن قطيـب الشامي، فالدلالة لا شك تختلف من قراءة إلى أخرى، وهذا ما سنلحظه في حـديثنا المقبل عن قراءة يزيد بن قطيب من الناحية الدلالية.

وثمة عدد ليس قليلاً من النظريات الدلالية المعاصرة، والتي تنطلق كل منها من وجهة نظر خاصة بها، وتحاول كل واحدة من هذه النظريات الوصول إلى الـرابط الدلالي من خلال عدد من القواعد الدلالية المرتبطـة بالنظريـة، فهنـاك النظريـة الإشارية، والنظرية السلوكية، والنظرية الوضعية المنطقية، والنظرية التـصويرية، والنظرية التوليدية، والنظرية البراجماتية، والنظرية التحليلية، ونظرية مور، ونظرية كواين[133].

1.4 معنى الدلالة:

ونحن في عمومنا نفهم معنى الدلالة إذ نطلق الحديث عنها، ولكننا قد لا نصل إلى التعريف الدقيق للدلالة، غير أن الدلالة تتلخص في أغلب نواحيها في المعنى، فنحن حين نطلق كلمة "دلالة" هذا يعني ارتباط المصطلح بمعنى الكلام، ومضمون الجملة.

ويذكر الكفوي كلاماً جميلاً عن الدلالة حيث يقول: " والدَّلَالَة تتَـضمن الِاطِّـلَاع، ولِهَذَا عوملت معاملته حتى تتعدى ب (على) ، ولم تعامل فِي الْهِدَايَة الَّتِي بمعناهـا بذلك، بل عوملت معها معاملة سائِر مضامينها.

وفرق بين الدّلَالَة والاستعمال تَقول: هَذَا اللَّفْظ يدل على الْعُمُوم، ثم قـد يـستَعمل حيثُ لَا يُراد الْعُمُوم، بل يُراد الْخُصُوص.

وما كَانَ للْإِنْسَان اخْتِيَار فِي معنى الدّلَالَة فَهو بِفَتْح الدال، وما لم يكن لَه اخْتِيَـار فِي ذَلِك فبكسرها، مِثَاله إِذا قلت: (دلَالَة الْخَير لزيد) فَهو بِالْفَتْح، أَي: لَه اخْتِيَار فِـي

---

[133]. انظر: عبابنة، يحيى عطية، والزعبي، آمنة (2008م). علـم اللغـة المعاصـر مقـدمات وتطبيقات، دار الكتاب الثقافي، إربد ـ الأردن، ص: 94 ـ 101.

الدالَّة على الْخَير، وإذا كسرتها فَمعنَاه حِينَئِذٍ صار الْخَير سجية لزيد في صدر مِنْه كَيفَ ما كَان"[134].

ولقد أشار بعض العلماء إلى أن معنى الدلالة يتمثل في أنها تتعلق باللفظ إذا أطلق دل، أي أن المتلقي إذا سمع ذلك اللفظ فإنه يفهم المقصود منه، وهذا معنى قولهم: لفظ إذا أُطلِق دل[135].

ومن خلال ما أوردناه عن الدلالة فيما سبق يمكننا أن نلحظ أن الأساس المعتمد في تبيين معنى الدلالة يتعلق بالفهم، والوصول إلى الفكرة المرادة، أو المعنى المقصود من خلال اللفظ، وبعبارة أخرى فإن الدلالة تتمثل في إمكانية فهم المتلقي للكلمات التي يتلقاها، هذا المعنى هو جزء من طبيعة فهم الإنسان للكلام والعبارات المختلفة، وبالتالي فإن الدلالة ذات ارتباط وثيق بين المسمى والاسم، فإذا كانت صورة المسمى ماثلة في ذهن المتلقي أمكنه الربط بينها وبين الاسم الذي يسمعه، ومن خلال ذلك يمكنه الوصول إلى الدلالة المقصودة.

وإمكانية التوصل إلى الدلالة تعتمد بشكل مباشر وكبير على قدرة المتلقي على الربط الذهني بين الأسماء ومسمياتها في اللغة بشكل عام، وقدرته أيضاً على الربط بين الكلمات والعبارات والجمل ذهنياً كي يصل في النهاية إلى تكوين الدلالة المطلوب تكوينها في ذهنه، وهذا الأمر يدخل في عملية التلقي والفهم واستيعاب الكلام.

وحين نتحدث عن توجيهات قراءة يزيد بن قطيب الشامي دلالياً يعني ذلك أن الأساس الذي نعتمده اختلاف الدلالة بين قراءة وأخرى، وأن هذا الاختلاف يكمن في اختلاف الصيغة أو الإعراب، فيترتب عليه اختلاف المعنى والدلالة، وهذا يدخل في

---

[134]. الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى (د.ت). الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق: عدنان درويش، ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان ص: 439.

[135]. انظر: الرصاع، أبو عبد الله محمد بن قاسم (1350هـ). الهداية الكافية الشافية لبيان حقائق الإمام ابن عرفة الوافية، شرح حدود ابن عرفة للرصاع، المكتبة العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى ص: 445.

أكثر قراءات يزيد بن قطيب إلا قليلاً منها، ولقد نوقشت كثير من هذه القراءات في فصولها، غير أنه لا يضير من مناقشة الدلالة فحسب في هذا الفصل.

2.4 الاختلاف التركيبي:

وبعد ما أوردناه من حديث عن معنى الدلالة لا بد أن نشرع فيما يلـي بتوجيـه قراءة يزيد بن قطيب الشامي دلالياً، إذ يقول ا سبحانه وتعالى: "والَذِين يؤْمِنُون بِما ُأنْزِلَ إِلَيك وما ُأنْزِلَ مِن قَبلِك وبِالْآخِرةِ هم يوقِنُون"[136].

ففي هذه الآية الكريمة وردت قراءة ليزيد بن قطيب الشامي ومعـه عـدد مـن القراء، وهي في قوله تعالى: "أنزل إليك ومـا أنـزل مـن قبلـك"، حيـث يقـول الزمخشري: "وقرأ يزيد بن قطيب بِما ُأنْزِلَ إِلَيك وما ُأنْزِلَ مِن قَبلِك على لفـظ مـا سمى فاعله. وفي تقديم (بِالْآخِرةِ) وبناء (يوقِنُون) على: (هم) تعريض بأهل الكتـاب وبما كانوا عليه من إثبات أمر الآخرة على خلاف حقيقته، وأن قولهم ليس بـصادر عن إيقان، وأن اليقين ما عليه من آمن بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك"[137].

إن الاختلاف الذي نراه في قراءة يزيد بن قطيب الشامي عن قـراءة الجمهـور اختلاف تركيبي، أي أن تركيب الجملة هو الذي اختلف، ولقـد نـوقش الاخـتلاف التركيبي في الفصل السابق، ونحن فيما يلي سنناقش الاختلاف الدلالي هاهنا.

لقد أفضى الاختلاف التركيبي في الآية السابقة إلى اختلاف دلالي، ففـي حالـة البناء للمجهول يكون الفاعل غير معروف، ويكون حذفه كامناً في العلم به، غير أن البناء للمعلوم ـ وهي قراءة يزيد ـ توجب على النـاظر فيهـا أن يقـدر فـاعلاً، والفاعل كما أشار أبو حيان في البحر المحيط إما أن يكون ا سبحانه وتعـالى، أو جبريل[138].

---

[136]. سورة البقرة، آية: 4.

[137]. الزمخشري. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ج: 1، ص: 42، وانظر: أبـو حيـان. البحر المحيط، ج: 1، ص: 70.

[138]. أبو حيان. البحر المحيط، ج: 1، ص: 70.

وبناء على ما سبق فإن المعنى المرتبط بنواحي الفاعلية يختلف من قـراءة إلـى أخرى، ففي حين أن الفاعل محذوف للعلم به في قراءة البناء للمجهول؛ نجده مقدراً بضمير يعود على لفظ الجلالة أو على جبريل عليه السلام في قراءة البناء للمعلوم، وبهذا تختلف الدلالة بين هذه القراءة وتلك.

وما ينطبق من كلام على هذه القراءة يمكن أن نلحظه إمـا بالناحيـة ذاتهـا، أو بالناحية العكسية، فيزيد بن قطيب الشامي قرأ بعض الآيـات مـن المجهـول إلـى المعلوم، والعكس بالعكس، أي قرأ آيات أخرى من المعلوم إلى المجهول، وفي كـلا الحالتين يتوجب علينا النظر إلى طبيعة الاختلاف الحاصـل بـين قـراءة البنـاء للمجهول، وقراءة البناء للمعلوم.

ومن بين هذه القراءات المختلفة في تركيبها ودلالتها ما كان في قولـه سـبحانه وتعالى: "كُلما أَضاء لَهم مشَوا فِيهِ وإِذا أَظْلَم علَيهِم قَاموا"[139].

حيث أشار العلماء والمفسرون إلى أن يزيداً قرأ "أظلـم" بالبنـاء للمجهـول[140]، فيكون الحال على ذلك يقتضي تقدير فاعل محذوف، ولقد حذف للعلم به، ويترتـب عليه اختلاف الدلالة، فالفاعل في حالة البناء للمعلوم هو الليل نفسه، أما فـي حالـة البناء للمجهول فإن الليل أصبح في محل وقوع الفعل، ولا بد من تقدير فاعل للفعل، فيصبح الأمر على هذا النحو متعلقاً بوقوع الفعل على الليل، وأن الفاعـل هـو ا سبحانه وتعالى، مع اختلاف الدلالة بين القراءتين.

وكذلك ففي قوله تعالى: " إِن الَّذِين كَفَروا لَو أَن لَهم ما فِي الْأَرضِ جمِيعا ومِثْلَـه معه لِيفْتَدوا بِهِ مِن عذَابِ يومِ الْقِيامةِ ما تُقُبلَ مِنْهم ولَهم عذَاب أَلِيم"[141].

يظهر لنا الفعل "تُقُبل" مبنياً للمجهول، في حين أن الباحثين والمفسرين قد أشاروا

---

[139]. سورة البقرة، آية: 20.

[140]. الزمخشري. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ج: 1، ص: 86، وأبو حيـان. البحـر المحيط، ج: 1، ص: 147.

[141]. سورة المائدة، آية: 36.

إلى أن يزيداً قرأ بالبناء للمعلوم، على تقدير أن ا سبحانه وتعالى هو الفاعل[142].

وقراءة العامة على البناء للمجهول دليل علـى حـذف الفاعـل، وبقـاء الهيئـة التصويتية للفعل دليلاً على ذلك الحذف، ولقد حذف الفاعل للعلم به، ولعلو مرتبتـه وهو ا سبحانه وتعالى، في حين أن قراءة البناء للمعلوم تحتم علـى النـاظر فـي الجملة تقدير فاعل للفعل المبني للمعلوم، ولذا فقد أشار العلماء إلى أن ا سـبحانه وتعالى هو الفاعل الحق لهذا الفعل، فيكون الحال على ذلك مختلفاً، إذ دلالة البنـاء للمجهول تختلف عن دلالة البناء للمعلوم، ومن هنا يكون التوجيـه الـدلالي لهـذه القراءة.

فالدلالة هاهنا تعتني بعدم قبول ا سبحانه وتعالى منهم لما يتقربون به، في حين أن دلالة البناء للمجهول تشتمل على عدم قبول ا سبحانه من ناحية، ومـن ناحيـة أخرى تشتمل على عدم قبول غير ا لما يأتي به هؤلاء من تقرب.

وما ذُكِر سابقاً من توجيه دلالي للآيات الكريمة في حالة الاختلاف التركيبي يذكر في موضع قراءة يزيد بن قطيب من قوله تعالى: "وخَسفَ الْقَمر"[143].

تحتوي هذه الآية القرآنية الكريمة على فعل هو "خَسفَ" وهو مسند للقمر، ولقـد ورد في هذا الفعل قراءة أخرى، وهي قراءة البناء للمجهول، في حـين أن عامـة القراء قرأوه بالبناء للمعلوم، يقول أبو حيان في هذه الآية الكريمة: " وقَرأَ الْجمهور: وخَسفَ مبِنيا لِلْفَاعِلِ وأَبو حيوةَ وابن أَبِي عبلَةَ ويزيد بن قُطَيبٍ وزيد بن علِي: مبِنيا لِلْمفْعولِ. يقَالُ: خَسفَ الْقَمر وخَسفَه الله، وكَذَلِك الشمس"[144].

ومن الأشكال التركيبية التي تخضع الدلالة لها ما يكون من تقديرات حول تركيب الجملة، إذ إن بعض القراءات تستوجب تقديراً معيناً كي تستقيم الجملة، وكي يكـون التركيب خاضعاً للقاعدة، من مثل تقدير المبتدأ أو الخبر، أو أي ركن مـن أركـان

---

[142]. انظر: ابن عطية. المحرر الوجيز، ج: 2، ص: 187، وأبو حيان. البحر المحـيط، ج: 4، ص: 244، والسمين الحلبي. الدر المصون، ج: 4، ص: 256.

[143]. سورة القيامة، آية: 8.

[144]. أبو حيان. البحر المحيط، ج: 10، ص: 340.

الجملة، ففي قوله سبحانه وتعالى: " وجعلُوا لِلهِ شُركَاء الْجِن وخَلَقَهم وخَرَقُوا لَه بنِين وبنَاتٍ بِغَير عِلْمٍ سبحانَه وتَعالَى عما يصِفُون"[145].

يبين الدرويش إعراب هذه الآية الكريمة، فيذكر أن "شركاء" مفعول به ثانٍ للفعل "جعلوا"، وأن "الجن" مفعول به أول للفعل المذكور نفسه، وإنما تقدم المفعول الثـاني على الأول لبيان أهمية المفعول الثاني، ولعظمة ما اقترفوا من ذنب مـن اتخـاذهم هؤلاء الشركاء[146].

ولقد ورد في هذه الآية القرآنية الكريمة قراءتين: الأولى بالرفع والثانية: بـالجر، عدا قراءة الجمهور الماثلة أمامنا بالنصب.

يقول ابن عطية متحدثاً عن هذه القراءات: " وقرأ شعيب بن أبي حمزة «شركاء الجن» بخفض النون، وقرأ يزيد بن قطيب وأبو حيوة «الجـن والجـن» بـالخفض والرفع على تقديرهم الجن"[147].

ويقول أبو حيان موجهاً القراءة: " انْتَصب الْجِن علَى إِضمار فِعل جوابٍ سـؤَالٍ مقَدرٍ كأَنه قِيلَ من جعلُوا لِلهِ شُركاء قِيلَ: الْجِن أَي جعلُوا الْجِن ويؤَيد هذا المعنـى قراءة أبي حيوة ويزيد بن قُطَيبٍ الْجِن بِالرفْع علَى تَقْدِيرِهِم الْجِن جوابا لِمن قَالَ: من الَذِي جعلُوه شَرِيكًا فَقِيلَ لَه: هم الْجِن ويكُون ذَلِك علَى سبِيل الِاستِعظَامِ لِما فَعلُوه والِانْتِقَاص لِمن جعلُوه شَرِيكًا لِله"[148].

فمسألة التقدير التي تظهر لنا في قراءة الرفع لا تخضع إلا لحتمية القاعدة هذا من جانب، ومن جانب آخر فإن العلماء يفترضون أن حركة الرفع لا بد لها من تفسير، لذا فإنهم رأوا أن يجعلوا ذلك التفسير منصباً على الحالة الإسنادية، فبطبيعة الأمر لا يأتي الاسم مرفوعاً إلا إذا كان فاعلاً، أو مبتدأ، أو خبراً، ففي هذه الحالات الإسنادية الثلاث يأتي الاسم مرفوعاً، ومن هنا قدر العلماء مبتدأ محذوفاً.

---

[145]. سورة الأنعام، آية: 100.

[146]. درويش. إعراب القرآن وبيانه، ج: 3، ص: 186.

[147]. ابن عطية. المحرر الوجيز، ج: 2، ص: 329.

[148]. أبو حيان. البحر المحيط، ج: 4، ص: 602 ـ 603، وانظـر: الـسمين الحلبـي. الـدر المصون، ج: 5، ص: 85.

والمبتدأ المحذوف عند تقديره يتغير المعنى، وتختلف الدلالة، ففي قراءة الجمهور بالنصب يتمثل لنا وقوع فعل الجعل على كل من الشركاء والجن، فهما وقع عليهما الفعل، ومن هنا يكونان مفعولين.

في حين أن الأمر يختلف مع قراءة الرفع، فلا بد من التفسير بمبتدأ محذوف، وبالتالي تكون الجملة استئنافية ابتدائية جاءت من أجل تفسير ما قبلها.

فيكون المعنى والدلالة على ذلك متمثلاً بأن هذه الجملة جاءت جواباً لمن سأل: من هم الشركاء؟

فيأتي الجواب: هم الجن، فهذه الجملة المقدرة أتت لتفسير الشركاء، في حين أن المعنى مع قراءة النصب يتمثل في بيان أن الشركاء ينقسمون إلى قسمين: الأول شركاء مختلفون، والثاني الجن.

وعلى هذا المعنى فإن قراءة الرفع تجعل من الجن هم الشركاء فحسب، وإذا ما أخذنا بعين الاعتبار الواقع العام للمشركين با فإنهم يجعلون من أشياء كثيرة شريكة ، ويعبدونها من دونه، كالجن، والأصنام، والشمس، والنجوم وغيرها.

فلم تكن القراءة التي قرأ بها يزيد بن قطيب على هذا المعنى تشمل جميع هؤلاء الشركاء، إلا شريكاً واحداً هم الجن، فقراءة الجمهور على هذا المعنى وهذه الدلالة أعم وأشمل من قراءة يزيد بن قطيب.

ومن صور الأشكال التركيبية التي تؤثر في الدلالة والمعنى ما يكون من إسناد الفعل إلى فاعله، حيث نجد أن في إسناد الفعل إلى فاعل معين دلالة تختلف عن إسناده لفاعل غيره، ونضرب على ذلك الأمثلة الآتية:

في قوله سبحانه وتعالى: "بَلْ أَتَيۡنَاهم بِالْحق وإنهم لَكَاذِبون"[149].

إذ يشير ابن خالويه في مختصره إلى أن ابن قطيب وأبا البرهسم، وأبا حيوة قرأوا بغير قراءة الجمهور، إذ قرأوا بإسناد الفعل "أتيت" إلى ضمير الرفع المتصل للمخاطب المفرد المذكر، أي أن القراءة "أتيتَهم"[150].

---

[149]. سورة المؤمنون، آية: 90.

[150]. ابن خالويه. مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع، ص: 100، وانظر: ابن جني. المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات، ج: 2، ص: 98.

ويذكر ابن عطية ما ورد في هذه الآية من وجوه في القراءة حيث يقول: "وقـرأ عيسى بن عمر وابن أبي إسحاق «بل أتيتهم بذكرهم» بضم تاء المتكلم، وقرأ ابـن أبي إسحاق أيضا «بل أتيتهم» خطابا لمحمد صلى ا عليه وسلم، وقـرأ الجمهـور «بل أتينهم بذكرهم» وروي عن أبي عمرو و «آتيناهم» بالمد بمعنى أعطيناهم"[151].

ويظهر لنا من خلال كلام ابن عطية السابق أن هذا الموضع من الآية الكريمـة يحتوي عدداً من القراءات، ومن بين هذه القراءات ما كان بفـتح التـاء، أي علـى الخطاب للنبي الكريم ـ صلى ا عليه وسلم ـ ومنها ما كان بضم التاء، أي علـى القول من ا سبحانه وتعالى.

أما أبو حيان فيذكر هذه القراءة التي هي بإسناد الفعل إلـى ضـمير المخاطـب المذكر المفرد، وينسبها إلى عبد ا بن أبي إسحاق، دون أن ينـسبها لغيـره مـن القراء[152].

ويذكر الألوسي تفصيل القراء والقراءات في هذا الموضع من كتاب ا تعالى، إذ يقول: "وقرأ ابن أبي إسحاق وعيسى بن عمر ويونس عن أبي عمرو «بل أتيـتهم» بتاء المتكلم، وابن أبي إسحاق وعيسى أيضا وأبو حيوة والجحدري وابن قطيب وأبو رجاء «بل أتيتهم» بتاء الخطاب للرسول صلّى ا عليه وسلّم وأبـو عمـرو وفـي رواية «أتيناهم» بالمد ولا حاجة على هذه القراءة إلى ارتكاب مجاز أو دعوى حذف مضاف كما في قراءة الجمهور على تقدير جعل الباء للمصاحبة"[153].

إن قراءة يزيد بن قطيب ومن نسبت له القراءة أيضاً ترتب عليها اخـتلاف فـي المعنى والدلالة، إذ إن قراءة الجمهور ترتبط با سبحانه وتعالى، فهو يتحدث عـن نفسه، في حين أن قراءة الإسناد إلى المفرد المذكر المخاطب ترتبط بالحديث عـن

[151]. ابن عطية. المحرر الوجيز، ج: 4، ص: 151.

[152]. أبو حيان. البحر المحيط، ج: 7، ص: 581.

[153]. الألوسي. شهاب الدين محمود بن عبد ا (1415هـ). روح المعاني في تفـسير القـرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنـان، الطبعة الأولى، ج: 9، ص: 254.

النبي الكريم ـ صلى ا عليه وسلم ـ وهذا هو الاختلاف الدلالي والتوجيه الدلالي لهذه القراءة الكريمة، فهي على خطاب النبي ـ صلى ا عليه وسلم ـ .

وفي موضع آخر يقول ا سبحانه وتعالى: "ولَا يأْتَلِ أُولُـو الْفَـضلِ مِـنْكُم والسعةِ أَن يؤْتُوا أُولِي الْقُربى والْمساكِين والْمهاجِرِين فِـي سـبِيلِ اللـهِ ولْيعفُـوا ولْيصفَحوا أَلَا تُحِبون أَن يغْفِر الله لَكُم والله غَفُور رحِيم"[154].

يذكر ابن خالويه أن كلمة "يؤتوا" في الآية الكريمة ورد فيها قراءة أخرى عـن يزيد بن قطيب، وأبي حيوة، وأبي البرهسم، وهي بالتاء دون الياء، أي: "أن تؤتوا"، وهذا اختلاف في الإسناد إلى الفاعل[155].

ولقد ذكر الزمخشري هذه القراءة مبيناً أنها على سبيل الالتفات، إذ يقول: "وقـرأ أبو حيوة وابن قطيب: أن تؤتوا، بالتاء على الالتفات. ويعضده قوله أَلا تُحِبـون أَن يغْفِر الله لَكُم"[156].

ولا يبتعد أبو حيان كثيراً عما قاله الزمخشري، إذ يقول في هذه القراءة الكريمة: "وقَرأَ أَبو حيوةَ وابن قُطَيبٍ وأَبو الْبرهسمِ أَن تُؤْتُوا بِالتاءِ علَى الِالْتِفَاتِ، ويناسِبه أَلا تُحِبون وأَن يؤْتُوا نَصب الْفِعلَ الْمنْهِي فَإِن كَان بِمعنَى الْحلِفِ فَيكُون التقْدِير كَراهـةَ أَن يؤْتُوا وأَن لَا يؤْتُوا فَحذَفَ لَا، وإِن كَان بِمعنَى يقَصر فَيكُون التقْدِير فِي أَن يؤْتُـوا أَو عن أَن يؤْتُوا"[157].

والالتفات في هذه الآية الكريمة واضح من خلال القراءة، حيث تغير الإسناد من الغيبة إلى الخطاب، فبعد أن كان ا سبحانه وتعالى يتحدث عن جماعـة الغـائبين صار يتحدث عن جماعة المخاطبين، وهو أسلوب بلاغي بحـت، يتعلـق بالدرجـة الأولى إلى شد ذهن المتلقي نحو طريقة الخطاب، وأسلوب الحديث.

---

154. سورة النور، آية: 22.

155. ابن خالويه. مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع، ص: 103.

156. الزمخشري. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ج: 3، ص: 222.

157. أبو حيان. البحر المحيط، ج: 8، ص: 25، وانظر: الشوكاني. محمد بن علي بن محمد بن عبد ا (1414هـ). فتح القدير، دار ابن كثير، بيروت، لبنان، ودار الكلم الطيب، دمـشق، سوريا، الطبعة الأولى، ج: 4، ص: 20.

فأسلوب الالتفات هو الظاهر لنا في الآية القرآنية الكريمة، وهو الذي نستطيع من خلاله تفسير القراءة وتوجيهها، وقد يكون الأمر متاحاً من خلال أن يكون الخطاب عائداً إلى ضمير الكاف في "منكم"، فكأنه عاد بالضمير إلى هذه الكاف وليس إلى ضمير الغائب المتمثل في التركيب السابق لهذه الجملة، وعلى هذا يختلف المعنى والدلالة شيئاً يسيراً، غير أن هذا الاختلاف لا يفضي إلى ابتعاد كبير عن المعنى الأساسي للآية الكريمة، وا أعلم.

وفي نهاية حديثنا عن هذه المواضع التي وجهت فيها القراءة دلالياً يحسن بنا أن نشير إلى بعض النتائج التي توصلنا إليها:

أولاً: إن الاختلاف التركيبي في قراءة يزيد بن قطيب يتمثل بالدلالة على ركن الجملة الفعلية، وهو ركن الفاعل، إذ انحصرت التوجيهات الدلالية في ناحيتي البناء للمجهول والبناء للمعلوم.

ثانياً: لقد كان الفاعل أكثر الأركان في الجملة الفعلية حضوراً من ناحية التوجيه الدلالي وذلك لأنه ركن لا بد منه في الجملة الفعلية، ولا يكون جملة فعلية بغير فاعل، لذا فإن عناصر المعنى عموماً تدور حول هذا الركن، وبالتالي فإن أي تغير في هذا الركن يتبعه تغير في بقية عناصر الجملة هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن التغير يتبعه تغير في دلالة الجملة عموماً.

3.4 الاختلاف في الجذر:

لا شك أن جذر الكلمة أصل لمعناها ودلالتها، فإذا ما كان الجذر ذو دلالة على معنى من المعاني فإن الكلمات التي ستُشتق من هذا الجذر بالطبع ستأخذ جزءاً كبيراً من المعنى، وهذه الفكرة يوضحها لنا تمام حسان بطريقة مختلفة عند حديثه عن المشتقات، إذ ثمة صيغة متولدة من صيغة هي الأصل، فتحمل الصيغة الجديدة المعنى الأصلي، وهذا المعنى الأصلي هو صلة جميع المشتقات بمعنى الحدث، وهذا نجده مثلاً في المصدر، وتزيد الصيغ المشتقة بمعانٍ جديدة زيادة على معنى الحدث، فإذا دلت الصيغة على معنى الفاعل كانت الكلمة المشتقة اسم فاعل، وإذا دلت على

زمن وقوع الحدث أو مكانه كانت الكلمة اسم مكان أو زمان، وإن دلت على من وقع عليه الحدث، كانت الكلمة المشتقة اسم مفعول[158].

ولقد كان حديث الدكتور تمام حسان السابق منصباً على الاشتقاق، غير أن هذه الدراسة تعمد إلى الاختلاف في الجذر كلياً، إذ لو كان الاشتقاق يؤثر في المعنى فلا شك أن اختلاف الجذر سيؤثر في المعنى أكثر، وهو ما سنلاحظه في قراءة يزيد بن قطيب.

في قوله سبحانه وتعالى: " وقَالَ نِسوةٌ فِي الْمدِينَةِ امرأَتُ الْعزِيزِ تُراوِد فَتَاها عن نَفْسِهِ قَد شَغَفَها حبا إِنا لَنَراها فِي ضلَالٍ مبِينٍ"[159].

يشير العلماء وكتب التفسير والقراءات إلى أن يزيد بن قطيب قد قرأ "شعفها" بالعين المهملة، إذ يقول الفيروزآبادي: " وقرأَ الحسن البصرى وقتادة وأَبو رجاء والشعبى وسعيد بن جبير وثابت البنَانّى ومجاهد والزهرى والأَعرج وابن كَثِير وابن محيصن وعوف بن أَبى جميلة ومحمد ابن اليمانى وزيد بن قطيب: {قد شَعفَها حبا}، قال أَبو زيد: أَى أَمرضها وأَداءها. وقرأَ ثابت البنَانى أَيضاً: (قد شعِفها) بكسر العين، أَى علِقها حبا وعشقها"[160].

والنظرة الأولى في هذه الآية تشير لنا بأن هناك فرقاً في الأصل المعجمي والجذر اللغوي لهاتين الكلمتين المتمثلتين بالقراءة القرآنية الكريمة، فقراءة الجمهور تشير إلى أن الكلمة مأخذوة من الجذر "شَغَفَ" في حين أن القراءة الثانية تشير لنا بأن الكلمة مأخوذة من الجذر "شَعفَ"، ولكي نحكم حكماً دقيقاً على الاختلاف بين هذين الجذرين - إن وجد - لا بد من الاحتكام إلى المعجم.

يذكر لنا ابن منظور معنى "شغف" فيقول: " وشَغَفَه الحب يشْغَفُه شَغْفاً وشَغَفاً: وصل إِلى شَغَافِ قَلْبِهِ. وقرأَ ابن عباسٍ: قَد شَغَفَها حبا ، قَالَ: دخَلَ حبه تَحتَ

---

[158]. حسان. اللغة العربية معناها ومبناها، ص: 166.

[159]. سورة يوسف، آية: 30.

160. الفيروزآبادي. أبو طاهر محمد بن يعقوب مجد الدين (د.ت). بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تحقيق: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، مصر، الطبعة الأولى، ج: 3، ص: 326.

الشغاف، وقِيلَ: غَشى الحب قَلْبها، وقِيلَ: أَصاب شَغافها؛ قَالَ أَبو بكْرٍ: شَغَافُ الْقَلْبِ وشَغَفُه غِلافُه"[161].

أما "شعف" فلا بد من ذكر معناها أيضاً، فيبين لنا ابن منظور المعنى المرتبط بهذا الجذر وذلك في قوله: " شَعَفَةُ كُل شَيءٍ: أَعلاه. وشَعفَةُ الْجبل، بِالتحرِيكِ: رأْسه، والْجمع شَعفٌ وشِعافٌ وشُعوفٌ وهي رؤوس الْجِبال... وشَعفَةُ القلبِ: رأْسه عِنْد معلق النياطِ. والشعفُ: شِدة الحب. قَالَ الأزهري: ما عِلِمتُ أَحداً جعلَ لِلْقَلْبِ شَعفة غَير الليثِ، والحب الشدِيد يتَمكن مِن سوادِ الْقَلْبِ لَا مِن طَرفه. وشَعفَني حبها: أَصاب ذَلِك مِني"[162].

فالجذران كما نرى يرتبطان ارتباطاً وثيقاً بالحب والصبابة، وأن هذا الحب يصيب محبوبه، فإما أن يقع في شغاف قلبه، أو أن يقع في أعلى قلبه، ومن هنا يتبين لنا التوجيه الدلالي الدقيق لقراءة "شعفها حباً" أي أصاب ما يعلو من قلبها بحبه.

وهكذا يكون قد تبين لنا الفرق بين هذين الجذرين من خلال ما يذكره المعجم العربي من معنى لهما، وإن كانا - أي الجذرين - مرتبطين قبل كل شيء بدلالة مشتركة وهي العلاقة بالقلب، فالقلب هو مناط العلاقة بين "شغف، وشعف" وهو الرابط بينهما، وفي حالة التفريق الدقيق يتوجب على الناظر أن يأخذ بعين الاعتبار ما يترتب على التقارب في الدلالة من خلال الترابط بين الكلمتين.

وفي قراءة أخرى يقول الله سبحانه وتعالى: " وأَصبح فُؤَاد أُم موسى فَارِغًا إِن كَادتْ لَتُبدِي بِهِ لَولَا أَن ربطْنَا علَى قَلْبِها لِتَكُون مِن الْمؤْمِنِين"[163].

لقد تحدثنا عن هذه الآية الكريمة في أثناء حديثنا في الفصل السابق حول الاختلاف في الصيغة الصرفية، حيث أشرنا إلى أن الصيغة الصرفية تختلف باختلاف القراءة، وبالتالي يختلف المعنى تبعاً لهذه الصيغة، إذ إن كل صيغة صرفية تدل على ما يدل عليه الجذر الأصلي، بالإضافة إلى معنى جديد يتمثل بالصيغة

---

[161]. ابن منظور. لسان العرب، ج: 9، ص: 179، الجذر: شغف.

[162]. ابن منظور. لسان العرب، ج: 9، ص: 177، الجذر: شعف.

[163]. سورة القصص، آية: 10.

نفسها، وهو ما سنحاول توضيحه في قراءة ابن قطيب لكلمة "فارغـاً" مـن الآيـة السابقة.

وبين أبو حيان أن كلمة "فارغاً" قد قرئت بقراءة أخرى عند يزيـد بـن قطيـب وبعض القراء الآخرين، وهي قراءة "فَزِعاً" أي من الفزع، يقول في ذلـك: " وقَـرَأَ فَضَالَةُ بن عبيدٍ، والْحسن، ويزيد بن قُطَيبٍ، وأَبو زرعةَ بن عمرو بن جريرٍ: فَزِعا، بِالزاي والْعين الْمهملَةِ، مِن الْفَزَعِ، وهو الْخَوفُ والْقَلَقُ وابن عباسٍ: قَرِعـا، بِالْقَافِ وكسرِ الراءِ وإِسكانِها، مِن قَرِع رأْسه، إِذَا انْحسر شَعره، كأَنه خَلَا مِن كُـل شَيءٍ إِلا مِن ذِكْرِ موسى"[164].

إذن مدار الحديث في القراءتين حول الجذر "فزع"، والجذر "فرغ"، وكما يتـضح للوهلة الأولى فثمة افتراق كبير، وبون شاسع بين معنى هذا الجذر، ومعنـى ذلـك الجذر.

يقول ابن منظور موضحاً معنى "فزع" في اللغة: " فزع: الفَزَع: الفَرَقُ والـذعر مِن الشيءِ، وهو فِي الأَصل مصدر. فَزِع مِنْه وفَزِع فَزَعاً وفَزْعاً وفِزعاً وأَفْزَعـه وفَزَّعه: أَخافَه وروعه، فَهو فَزِع"[165].

فالفزع مقترن بالخوف، لذا فإن معنى الآية القرآنية أن فؤاد أم موسى أصبح خائفاً لسبب من الأسباب.

أما معنى الجذر "فرغ" فيذكر أيضاً ابن منظور معنى هذا الجذر بقوله: " فـرغ: الفَراغُ: الخَلاء، فَرَغَ يفْرُغُ ويفْرَغُ فَراغاً وفُروغاً وفَرِغَ يفْرغ... وفَـرغَ المكـان: أَخلاه... وتَفْرِيغُ الظروفِ: إِخْلاؤها. وفَرَغْتُ مِن الشغُل أَفْـرغُ فُروغـاً وفَراغـاً وتَفَرَغْتُ لِكذَا واستَفْرَغْتُ مجهودِي فِي كَذَا أَي بذلتُه. يقَالُ: استَفْرَغَ فُلَان مجهوده إِذا لَم يبق مِن جهدِه وطاقَتِه شَيئًا. وفَرَغَ الرجلُ: ماتَ مِثْلُ قَضى، علـى المثَـل، لأَن جِسمه خَلا مِن روحِه. وإِناء فُرغٌ: مفَرغ"[166].

---

[164]. أبو حيان. البحر المحيط، ج: 8، ص: 289.

[165]. ابن منظور. لسان العرب، ج: 8، ص: 251، الجذر فزع.

[166]. ابن منظور. لسان العرب، ج: 8، ص: 444 ـ 445، الجذر: فرغ.

فدلالة الجذر "فرغ" تتمثل بالخلو والانتهاء، وبالتالي فإن هذا الجذر يكون له معنى مختلفاً في الآية الكريمة.

إن قراءة الجمهور بلفظ "فارغاً" يدل على فراغ فؤاد أم موسى وخلوه من الصبر أو التحمل على فراق ابنها موسى، خصوصاً وقد ترامى إلى مسامعها أن فرعون قد اخذه، وأنه صار بين يديه، لذا أفرغ الحزن والخوف قلبها، فصار قلبها فارغاً خالياً من الصبر والتحمل على فراق موسى، لذا أوشكت أن تفتضح أمرها، وتفشي سرها، فتبدي لفرعون وآله أن هذا هو ابنها، غير أن ا سبحانه وتعالى ربط على قلبهـا، وثبت فؤادها كي تكون من المؤمنين.

أما قراءة يزيد بن قطيب الشامي بلفظ "فزع" فيدل ذلك على معنى الخوف والفزع الذي أصاب فؤاد أم موسى لما علمت بوقوع ابنها الرضيع في ايـدي آل فرعـون، ولشدة خوفها هذا أوشكت أن تخبر آل فرعون أن هذا هو ابنها، فيفتضح أمرها، إلا أن ا سبحانه وتعالى ربط على قلبها، وثبتها كي تكون من المؤمنين.

إذن فالفرق بين القراءتين يتمثل بما حصل لأم موسى فأدى ذلك إلـى احتماليـة إفشاء أمرها، وإخبار القوم أن الذي وقع بين أيديهم هو ابنها، فهذه النتيجة وصـلت إليها أم موسى من خلال سبب من سببين، والسببان يتمثلان بالقراءة القرآنية ذاتهـا، فالسبب الأول يتمثل بنفاد الصبر من فؤادها، والسبب الثاني يتمثل بـالخوف الـذي سيطر على فؤادها، فأدى واحد من هذين السببين إلى احتمالية أن تفـشي بـسرها، وافتضاح أمرها.

وفي نهاية هذا المبحث يجمل بنا أن نشير إلى بعض ما توصلنا إليه من نتـائج، والتي هي كما يلي:

أولاً: يمثل الجذر اللغوي أحد الركائز المهمة في فهم المعنى والدلالة المقـصودة من الكلمة، غير أنه لا يعني كل شيء في المعنى والدلالة، فثمة أمور أخرى تـدخل في تشكيل الدلالة، من مثل التركيب، والاشتقاق، والإضافة وغيرها.

ثانياً: يمثل اختلاف الجذر في القراءة القرآنية مؤشراً مهماً وواضحاً على اختلاف المعنى والدلالة، فالجذر هو الأصل الذي تنبع منه الدلالة.

ثالثاً: هناك بعض القراءات التي اختلفت فيها الألفاظ والجذور، غير أن هذا الاختلاف لم يخرج القراءة من دائرة القبول، إذ لم تزل موافقة لشروط القراءة المقبولة عند العلماء.

وبهذا الكلام نكون قد انتهينا من الحديث عن التوجيهات الدلالية لقراءة يزيد بن قطيب الشامي، وإن كان هذا الموضوع قد تطرقنا إليه فيما سبق من الفصول، ولكن ليس على وجه التفصيل الماثل أمامنا في هذا الفصل، وا أعلم.

الفصل الخامس

النظير في قراءة يزيد بن قطيب

حين تحدث العلماء عن القراءات القرآنية افترضوا أن القراءة الصحيحة يتوجب أن تخضع لثلاثة شروط هي[167]: الشرط الأول: أن تكون القراءة متواترة، ثم تخففوا من هذا الشرط فأصبح التواتر ليس شرطاً رئيسياً، وإنما اشترطوا عدالة الرواة في حالة الرواية بالآحاد.

أما الشرط الثاني فجعلوه من ناحية اللغة، إذ إن القراءة القرآنية حتى تُقبل يتوجب أن توافق وجهاً من وجوه العربية ولو تقديراً.

والشرط الثالث فكان شرطاً شكلياً يتعلق برسم المصحف، فحتى تُقبل القراءة لا بد وأن توافق رسم المصحف العثماني ولو احتمالاً.

ومن هنا فإن القراءة الصحيحة إذا ما توافرت فيها هذه الشروط الثلاثة تعد مقبولة عند العلماء، غير أننا نتوقف مع الشرط القائل بموافقة القراءة لوجه من وجوه العربية، وهذا الشرط هو مدار الحديث عن النظير في هذا الفصل، إذ لا بد وأن يكون للقراءة شيء يعضدها من كلام العرب النثري والنظمي، فلذا ينقسم النظير إلى الأقسام الآتية:

1 . النظير القرآني: وفي هذه الحالة يكون للقراءة ما يعضدها من نص القرآن الكريم نفسه.

2 . النظير من القراءات القرآنية: إذ يكون للقراءة المخصوصة قراءة أخرى تشابهها وتشاكلها، فتعضد القراءة القراءة.

3 . النظير من الحديث الشريف: أي أن يكون للقراءة ما يعضدها من كلام النبي الكريم ـ صلى الله عليه وسلم ـ.

---

167. انظر: ابن الجزري. شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد بن يوسف (د.ت). النشر في القراءات العشر، تحقيق: علي محمد الضباع، المطبعة التجارية الكبرى، تصوير دار الكتاب العلمية، ج: 1، ص: 10، والقطان. مناع بن خليل (2000م). مباحث في علوم القرآن، مكتبة المعارف، القاهرة ـ مصر، الطبعة الثالثة، ص: 177.

4 . النظير من كلام العرب النثري: ويشمل هذا النوع من النظير الأمثال، والحكم، والمقولات المشهورة عن العرب، وكل شيء نثري نُقِل عن العرب، فيعضد الكلام النثري القراءة القرآنية.

5 . النظير من كلام العرب الشعري: فيكون للقراءة ما يعضدها من أشعار العرب، وما يماثلها.

فالنظير إذن يأتي من أجل توكيد القراءة، وبيان أنها جاءت على وفق ما يتكلم به العرب، ولم يداخلها الشذوذ، وهذا هو الهدف الرئيسي من فكرة النظير، ولكن قبل أن نبدأ الحديث عن النظير في قراءة يزيد بن قطيب الشامي نورد تبييناً لمعناه في اللغة والاصطلاح.

1.5 معنى النظير:

تشير المعاجم العربية إلى معنى النظير، حيث ورد في لسان العرب أن النظير هو المثل؛"لأن الناظر إذا نظر إليك أنت ونظيرك، رآكما سواء"، وهو الشبيه في الشكل والخلق والفعل والقول. و"يقال: لا تناظر بكتاب الله تعالى، ولا بكلام رسوله، قال أبو عبيد: أي: لا تفعل شيئاً نظيراً لكتاب الله ولا لكلام رسوله"، وهو المثل والشبيه، ويقال: النظار[168].

والمثل بمعنى الشبه، يذكر ابن قتيبة، يقال: هذا مثل الشيء ومثله، كما يقال: شِبه الشيء وشَبهه، ومنه قوله تعالى:"مثَلُ الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثَل العنكبوتِ اتخذت بيتاً"[169]، أي شبه الذين كفروا شبه العنكبوت[170].

وورد عند الزمخشري الذي سبق ابن منظور أن النظير هو المثل والشبيه أيضاً[171]، وقد فرق بعض العلماء بين هذه الألفاظ، فذهب أبو البقاء الكفوي إلى أن

---

[168]. ابن منظور، لسان العرب، (نظر)، ج: 5، ص: 219، و (شبه) ج: 13، ص: 503.

[169]. سورة العنكبوت 29، آية: 41.

[170]. ابن قتيبة. تأويل مشكل القرآن، ص: 496.

171. الزمخشري. أبو القاسم محمود بن عمرو (1998م). أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، (نظر)، ص: 462.

النظير أخص من المثل، وكذلك الند والشَبيه والمساوي والشكل، فالمثل عنـده أعـم هذه الألفاظ [172]، والمشابهة عنده هي اتفاق الشيئين في الكيفية، وأما المشاكلة فتُعني اتفاقهما في الخاصية، وأما المساواة فتُعني اتفاقهما في الكميـة، والمماثلـة تعنـي اتفاقهما في النوعية. وقد يراد بالمشاكلة التناسب المراد لمراعاة النظيـر [173]. كمـا ذهب الأحمد نكرى صاحب دستور العلماء إلى أن النظير يختلف عن المثال في أن المثال يكون جزئياً للمثل بخلاف النظير [174].

هذا هو معنى النظير في المعاجم واللغة، وأما المعنى الاصطلاحي للنظير فيتمثل في أن النظير: هو أن يجمع الناظم أو الناثر أمراً وما يناسبه مع إلغاء ذكر التضاد، لتخرج المطابقة، سواء كانت المناسبة لفظاً لمعنى أو لفظاً للفظ، أو معنى لمعنى، إذ القصد يجمع الشيء إلى ما يناسبه من نوعه أو يلائمه في أحد الوجوه [175].

أما في هذه الدراسة فإنني لن أتحدث عن النظير من ناحية الدلالات المختلفة له، بل سأجعل كل من: النظير، والمثيل، والشبيه، وغيرها من المـصطلحات بمعنـى واحد، وكلها تدل على النظير والتشابه، وفيما يلي سنعرض للحديث عما توصلنا إليه من قراءات ذات نظير يذكرها العلماء ليزيد بن قطيب الشامي.

2.5 النظير من القراءات القرآنية:

إن من بين الأشكال التي يأتي عليها النظير في القراءات القرآنية أن يكون النظير من القراءات نفسها، فتأتي القراءة لتعضد غيرها من القراءات، ولتبين أن القـراءة

---

[172]. الكفوي. الكليات، ج: 4، ص: 363.

[173]. الكفوي. الكليات، ج: 4، ص: 253.

[174]. الأحمد نكري. عبد النبي بن عبد الرسول (2000م). دستور العلماء، جـامع العلـوم فـي اصطلاحات الفنون، عرب عباراته الفارسية: حسن هاني فحص، دار الكتب العلمية، بيـروت ـ لبنان، الطبعة الأولى ج: 3، ص: 209.

[175]. ابن حجة الحموي، أبو بكر تقي الدين بن عبد ا بن علي بن محمـد (2004م). خزانـة الأدب وغاية الأرب، تحقيق: عصام شقيو، دار الهلال، بيروت، لبنـان، ومكتبـة البحـار، بيروت، لبنان ص: 131.

المعنية بالنظير داخلة ضمن إطار الكلام العربي، والاستعمال اللغوي الفصيح، فالقراءة تصبح دليلاً على القراءة.

ومن النظير من القراءات القرآنية ما جاء في قوله سبحانه وتعالى: " وجعلُوا لِلهِ شُركَاء الْجِن وخَلَقَهم وخَرقُوا لَه بنِين وبنَاتٍ بِغَير عِلْمٍ سبحانَه وتَعالَى عما يصِفُون"[176].

حيث ورد في كلمة "الجن" ثلاث قراءات، بالرفع والنصب والجر، ولقد بين العلماء هذه القراءات في كتب التفسير المختلفة، وبينوا أن هذه القراءات الثلاثة يعضد بعضها بعضاً، خصوصاً أن قراءة الرفع كانت نظيراً لقراءة النصب، وإن كانت قراءة الرفع هي قراءة يزيد بن قطيب.[177].

ولقد جعل أبو حيان من النظير في هذه القراءة القرآنية سبيلاً لبيان معنى النصب في قراءة الجمهور، إذ إن "الجن" انتصب على تقدير جواب سؤال من سأل: من جعلوا شركاء؟ فيكون الجواب: الجن، وهذه القراءة تعضدها قراءة يزيد بن قطيب بالرفع، فتكون جواباً لمن سأل: من هم الشركاء؟ فتكون الإجابة: الجن، على تقدير هم الجن، فهذه القراءة نظير لتلك القراءة من ناحية الدلالة، يقول أبو حيان في ذلك: " انْتَصب الْجِن علَى إِضمار فِعل جوابِ سؤَالٍ مقَدرٍ كَأَنه قِيلَ من جعلُوا لِلهِ شُركاء قِيلَ: الْجِن أَي جعلُوا الْجِن ويؤَيد هذا المعنى قراءة أبي حيوة ويزيد بن قُطَيبٍ الْجِن بِالرفْعِ علَى تَقْدِيرِهِم الْجِن جوابا لِمن قَالَ:

من الذِي جعلُوه شَرِيكًا فَقِيلَ لَه: هم الْجِن ويكُون ذَلِك علَى سبِيل الِاستِعظَامِ لِما فَعلُوه والِانْتِقَاصِ لِمن جعلُوه شَرِيكًا لِله"[178].

ويتحدث السمين الحلبي عن الفكرة ذاتها التي ذكرها أبو حيان، فقراءة النصب جواب لمن سأل: من جعلوا شركاء؟ فيكون الجواب: الجن، وتؤيده قراءة يزيد بن

---

[176]. سورة الأنعام، آية: 100.

[177]. انظر مثلاً: ابن عطية. المحرر الوجيز، ج: 2، ص: 329، و أبو حيان. البحر المحيط، ج: 4، ص: 602 ـ 603، و السمين الحلبي. الدر المصون، ج: 5، ص: 85.

[178]. أبو حيان. البحر المحيط، ج: 4، ص: 602 ـ 603.

قطيب وأبي حيوة، فقد قرآ بالرفع، هذا يدل على احتمالية أن يكون "الجـن" جوابـاً لسؤال سائل، فالنظير هاهنا يختص بناحية المعنى لا بناحية التركيب[179].

ولقد جاءت قراءة الرفع مؤيدة لقراءة النصب، فهي نظير لها من ناحية الدلالة، هذا النظير من القراءات القرآنية دفع بالاستعمال اللغوي لقراءة النصب نحو القبول، وأصبح وجه تلك القراءة معللاً في العربية، ممـا يـدخلها فـي دائـرة القـراءات الصحيحة، إذ استيفاؤها لشرط موافقة وجه من وجوه العربية ماثل أمامنا من خـلال هذا النظير من القراءات القرآنية.

3.5 النظير من كلام العرب النثري:

يجد العلماء والباحثون بعضاً من كلام العرب ينطبق على القراءة، فيستفيدون من هذا الكلام المنقول عن العرب فيجعلون منه نظيراً يعضد القراءة، ويجعل من وجهها وجهاً مقبولاً في اللسان العربي، إذ إن النظير ينقل القراءة إلى درجة القبول اللغوي، ويثبت لها إمكانية استعمالها في اللغة، فمن هنا تبرز أهميته، ويظهر سبب اهتمـام العلماء به.

ففي قوله سبحانه وتعالى: ""والْمحصنَاتُ مِن النساءِ إِلا ما ملَكَتْ أَيمانُكُم كِتَاب اللهِ علَيكُم وأُحِل لَكُم ما وراء ذَلِكُم أَن تَبتَغُوا بِأَموالِكُم محصِنِين غَيـر مـسافِحِين فَمـا استَمتَعتُم بِهِ مِنْهن فَآتُوهن أُجورهن فَرِيضةً ولَا جنَاح علَيكُم فِيما تَراضيتُم بِهِ مِن بعدِ الْفَرِيضةِ إِن الله كَان علِيما حكِيما"[180].

لقد ذكرت المصادر أن يزيد بن قطيب الشامي قد قرأ "المحصنات" بضم الصاد، وهو كما علله بعضهم بأن ذلك داخل ضمن إطار الإتباع، حيث تبعت الضمة الضمة في هذه القراءة، يقول ابن عطية عن هـذه القـراءة: " وقـرأ يزيـد بـن قطيـب «والمحصنات» بضم الصاد، وهذا على إتباع الضمة الضمة"[181].

---

179. السمين الحلبي. الدر المصون، ج: 5، ص: 85.

180. سورة النساء، آية: 24.

181. ابن عطية. المحرر الوجيز، ج: 2، ص: 35.

ويشير العلماء أيضاً إلى أن لهذه القراءة نظيراً من كلام العرب، وهـو قـولهم: "مِنْتُن"، حيث تأثرت الضمة اللاحقة بالضمة السابقة، لذا تبعتها، والأصل أن تكـون الحركة التي تلي التاء كسرة أو فتحة استناداً إلى المشتق، وهذا الكلام يـذكره أبـو حيان صراحة في تفسيره، حيث يبين أن الحاجز الذي بين الضمتين ساكن فهو غير حصين، يقول: " كَمَا قَالُوا: مُنْتُن، وَلَمْ يَعتَدوا بِالْحَاجِزِ لِأَنه سَاكِن، فَهو حَاجِز غَيـر حَصِينٍ"[182].

ويبين لنا ابن منظور أن هذه الكلمة في استعمال العرب لا تخضع لحالة واحـدة، بل إن ضمة الميم قد تتأثر بالكسرة التي تلي التاء، فتصير كسرة، أو أن تتأثر كسرة التاء بضمة الميم فتصير ضمة، فيجوز في هذه الكلمة أن نقـول: مُنـتِن، ومُنْـتُن، ومِنْتِن، فيها الوجوه الثلاثة[183]، أي أن التأثر قد يكون مقبلاً، وقد يكون مدبراً، وفـي كلتا الحالتين فإن ما جرى في هذه الكلمة جرى من باب المماثلة الصوتية كما يقول المحدثون، أو من باب الإتباع كما يقول القدماء.

إذن فالقراءة الكريمة تشتمل على نظير من كلام العرب النثري وهي كلمة "مُنْتُن" فما حصل في قوله: "المحصنات" هو ذاته الذي حصل في قول العرب: منتُن، فكان من العلماء أن جاءوا بهذا النظير لإثبات أن القراءة المنسوبة ليزيد بن قطيـب ذات استعمال واقعي في كلام العرب، وأن الدليل على وجود هذا الاسـتعمال الـواقعي قولهم: منتُن.

لقد دفع النظير من كلام العرب هذا بالقراءة الكريمة إلى حيز القبول، أو قل بلفظ آخر إلى حيز الاستدلال، إذ إن هذا النظير الاستعمالي من كلام العرب يؤدي إلـى قبول الاحتجاج للقراءة، فما دام العرب يقولون بهذا القول فلا مشكلة مـن مجـيء القراءة القرآنية على هذا النحو، فالنظير يعضدها، والاستعمال يقويها، ومـن هنـا تظهر الحجة لهذه القراءة.

---

[182]. أبو حيان. البحر المحيط، ج: 3، ص: 584، وانظر: السمين الحلبي. الدر المـصون، ج: 3، ص: 646.

[183]. ابن منظور. لسان العرب، ج: 13، ص: 426.

4.5 النظير الشعري:

أما الشكل الثالث من أشكال النظير التي نناقشها في هذا الفصل فيتمثل بـالنظير الشعري، وفكرة النظير كما رأيناها في الأمثلة السابقة تظهر تماماً في هذا القسم من أقسامه، إذ إن العلماء والباحثين في علوم القراءات يجعلون من الـشواهد الـشعرية سبيلاً لتوضيح القراءة القرآنية، بل لعضدها وبيان أن اللغة تستعمل الصورة التـي تظهر في القراءة القرآنية.

والشعر من أكثر الشواهد قبولاً لدى العرب، بل قد ينحصر مفهوم الـشاهد فـي كثير من الأحيان بالشاهد الشعري[184]، والواقع أن الشاهد يتعلق بكل ما نُقـل عـن العرب من قول، سواء أكان ذلك القول شعراً أم نثراً، وسواء أكان ذلك القول قرآنـاً أم حديثاً، غير أن ارتباط مفهوم الشاهد باللغة جعل من الشاهد الشعري أكثر الشواهد رواجاً، ومن ناحية ثانية كان الشاهد الشعري يسيطر على مفهوم الشاهد اللغوي في ذهن المتلقي.

ومن هنا فإن النظير الشعري يعد من أقوى النظائر اللغوية، فهو يمثل لب اللغة، ولا يرد الاحتجاج بالشعر عند العلماء، وهو أولاً وأخيراً من كلام العرب، لذا فلا بد لنا من توضيح مواضع النظير الشعري في قراءة يزيد بن قطيب الشامي.

يقول الله سبحانه وتعالى: " كُلما أَضاء لَهم مشَوا فِيهِ وإِذا أَظْلَم علَيهم قَاموا"[185].

لقد ذكرت كتب التفاسير والقراءات أن قراءة الجمهور على البناء للمعلوم، أي أن يكون الفعل لازماً، غير أنهم ذكروا أن يزيد بن قطيب قرأ بالبناء للمجهـول، علـى اعتبار الفعل متعدياً، وأن الفاعل محذوف[186].

ولقد أشار الزمخشري في حديثه عن هذه القراءة القرآنية الكريمـة إلـى نظيـر شعري من كلام العرب، حيث يقول[187]: "فإن قلت: كيف قيل مع الإضـاءة: كلمـا،

---

184. عمر. أحمد مختار عبد الحميد (2003م). البحث اللغوي عند العرب، عالم الكتب، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثامنة، ص: 40 ـ 42.

185. سورة البقرة، آية: 20.

186. انظر: أبو حيان. البحر المحيط، ج: 1، ص: 147.

187. الزمخشري. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ج: 1، ص: 86.

ومع الإظلام: إذا؟ قلت لأنهم حراص على وجود ما همهم به معقود من إمكان المشي وتأتيه، فكلما صادفوا منه فرصة انتهزوها، وليس كذلك التوقف والتحبس.
وأظلم: يحتمل أن يكون غير متعد وهو الظاهر، وأن يكون متعديا منقولا من ظلام الليل، وتشهد له قراءة يزيد بن قطيب: أظلم، على ما لم يسم فاعله.
وجاء في شعر حبيب ابن أوس:
هما أَظْلَمَا حالَى ثُمتَ أَجلَيا ... ظلاَميهما عن وجهِ أمرد أَشْيبِ[188]

فالبيت الشعري السابق يمثل نظيراً للقراءة القرآنية، وهذا النظير أتى لبيان أن الفعل "أظلم" قد يأتي متعدياً، فيأخذ مفعولاً به، وهو ما نراه في البيت الشعري، إذ "حالَيّ" في البيت واقعة في موضع نصب مفعول به.

يفيدنا البيت الشعري السابق في مسألة تحقيق شرط الموافقة للعربية ولو بوجه من الوجوه، فالقراءة بالبناء للمجهول تعني أن الفعل متعدياً، ولو لم يكن متعدياً لما أمكن البناء للمجهول، فالفعل اللازم لا يبنى للمجهول، بل هو مبني للمعلوم، ومن هنا كان لا بد من إيجاد شاهد يعضد القراءة يبين أن الفعل "أظلم" قد يأتي لازماً، وقد يأتي متعدياً، واللزوم لا مشكلة فيه، لأن قراءة الجمهور على اللزوم، في حين أن ما يحتاج النظير هي قراءة البناء للمجهول، أي أن يكون الفعل متعدياً، ففي هذه الحالة لا بد من إيجاد نظير استعمالي يقود إلى قبول القراءة من وجهة نظر لغوية استعمالية.

وفي نهاية هذا الفصل لا بد لنا من أن نشير إلى عدد من النتائج التي توصلنا إليها، وهي على النحو الآتي:

أولاً: يمثل النظير اللغوي سنداً للقراءة القرآنية كي يتضح للباحث أن وجه القراءة مقبول في العربية، وأنه ثمة استعمال لغوي على لسان العرب يؤيد القراءة.

---

[188]. انظر البيت في: النعماني. اللباب في علوم الكتاب، ج: 1، ص: 400، وج: 5، ص: 286، والسيوطي. جلال الدين عبد الرحمن ابن أبي بكر (2005م). نواهد الأبكار وشوارد الأفكار، حاشية السيوطي على تفسير البيضاوي، جامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين، ثلاث رسائل دكتوراه، المملكة العربية السعودية ، ج: 1، ص: 454.

ثانياً: لم يذكر العلماء والمفسرون كثيراً من النظائر الشعرية لقراءة يزيد بن قطيب الشامي، والنظائر التي ذكروها لا تمتاز بالكثرة، بل هي شواهد قليلة جداً على النظير لقراءة يزيد.

ثالثاً: إن من أقوى النظائر اللغوية الاستعمالية النظير الشعري، فهو مقبول لدى العلماء عموماً، وهو استعمال عربي فصيح، يبين لنا الطريقة التي أدى من خلالها ابن اللغة التركيب أو الكلام.

الخاتمة

وبعد أن انتهى الحديث عن قراءة يزيد بن قطيب الشامي وتوجيهاتها لا بد لنا من أن نورد ما توصلت إليه هذه الدراسة من نتائج، وهي كما يلي:

ثمة مجموعة من الملحوظات والملامح الصوتية التي نراها في قراءة يزيد بـن قطيب، هذه الملامح والملحوظات ذات وجه في العربية، ويمكن أن يستشهد بها فـي ميدان اللغة.

إن أهم ظاهرتين يمكن أن نراهما في قراءة يزيد بن قطيب الشامي هما الإتبـاع، والمماثلة الصوتية، رغم أن هاتين الظاهرتين فيهما كثير من التداخل والتـشابك، إلا أنهما يمثلان ظاهرتين بارزتين في قراءة يزيد بن قطيب الشامي، وبطبيعـة الحـال فإن هاتين الظاهرتين يقصد منهما الوصول إلى تسهيل النطق، وتيسير الكلام، وبذل أقل جهد ممكن في نطق الألفاظ في العربية.

لم تكن الملامح الصوتية في قراءة يزيد بن قطيب تمثل أغلب الظواهر الصوتية، بل كانت تمثل بعض الظواهر فحسب، علاوة على قلة القراءات الواردة فـي تلـك الظواهر الصوتية.

هناك بعض الملامح للمخالفة الصوتية في قراءة يزيد بن قطيب، خصوصاً فـي مجال الحركات، إذ وردت قراءتان تحتويان على ملمح من ملامح المخالفة الصوتية.

لم تكن المماثلة الصوتية أو حتى المخالفة الصوتية لتفضي إلى اختلاف في الدلالة أو المعنى، بل انحصرت فائدة المماثلة أو المخالفة في نواحي النطق تسهيلاً وتيسيراً فحسب.

لقد كان الحديث في القراءات الواردة عن يزيد بن قطيب الشامي في حال البنـاء للمجهول، وحتى في حال البناء للمعلوم ترتبط تركيبياً با   سبحانه وتعالى: ففاعـل: خُسف، هو ا ، وفاعل: تقبل، هو ا أيضاً، وفاعل: أنزل، هو ا تعـالى أيـضاً، وفاعل: أُظْلِم، هو ا ، ففي جميع الأفعال التي طرأ عليها تحول تركيبي في قـراءة يزيد بن قطيب كان الفاعل فيها ا سبحانه وتعالى.

لقد حذف الفاعل في القراءات التي احتوت أفعالاً مبنيـة للمجهـول للعلـم بـه، ولتكريمه وتعظيمه، فهو ا سبحانه وتعالى، فحذف الفاعل من أجل التعظيم.

يمثل التحول بين المبني للمعلوم والمبني للمجهول في قراءة يزيد بن قطيب ظاهرة، إذ هو أكثر الظواهر المتكررة في قراءته، حيث وردت عنه أربعة مواضع تحتوي تحولاً بين البناء للمجهول والبناء للمعلوم.

لقد كانت أكثر قراءات يزيد بن قطيب في باب النحو، وخصوصاً في باب المنصوبات.

لم تكن القراءات الداخلة في باب الصرف تتعلق بحذف أو زيادة، وهو أمر طبيعي، إذ إن الحذف أو الزيادة يترتب عليه اختلاف رسم المصحف، وبالتالي خروج القراءة من دائرة الصحة.

يترتب على قراءة يزيد بن قطيب معانٍ أخرى تختلف عن معاني القراءة التي أجمع عليها جمهور القراء، وهو ما سنبينه في الفصل اللاحق بإذن الله تعالى.

إن الاختلاف التركيبي في قراءة يزيد بن قطيب يتمثل بالدلالة على ركن الجملة الفعلية، وهو ركن الفاعل، إذ انحصرت التوجيهات الدلالية في ناحيتي البناء للمجهول والبناء للمعلوم.

لقد كان الفاعل أكثر الأركان في الجملة الفعلية حضوراً من ناحية التوجيه الدلالي وذلك لأنه ركن لا بد منه في الجملة الفعلية، ولا يكون جملة فعلية بغير فاعل، لذا فإن عناصر المعنى عموماً تدور حول هذا الركن، وبالتالي فإن أي تغير في هذا الركن يتبعه تغير في بقية عناصر الجملة هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن التغير يتبعه تغير في دلالة الجملة عموماً.

يمثل الجذر اللغوي أحد الركائز المهمة في فهم المعنى والدلالة المقصودة من الكلمة، غير أنه لا يعني كل شيء في المعنى والدلالة، فثمة أمور أخرى تدخل في تشكيل الدلالة، من مثل التركيب، والاشتقاق، والإضافة وغيرها.

يمثل اختلاف الجذر في القراءة القرآنية مؤشراً مهماً وواضحاً على اختلاف المعنى والدلالة، فالجذر هو الأصل الذي تنبع منه الدلالة.

هناك بعض القراءات التي اختلفت فيها الألفاظ والجذور، غير أن هذا الاختلاف لم يخرج القراءة من دائرة القبول، إذ لم تزل موافقة لشروط القراءة المقبولة عند العلماء.

يمثل النظير اللغوي سنداً للقراءة القرآنية كي يتضح للباحث أن وجـه القـراءة مقبول في العربية، وأنه ثمة استعمال لغوي على لسان العرب يؤيد القراءة.

لم يذكر العلماء والمفسرون كثيراً من النظائر الشعرية لقراءة يزيد بـن قطيـب الشامي، والنظائر التي ذكروها لا تمتاز بالكثرة، بل هي شواهد قليلـة جـداً علـى النظير لقراءة يزيد.

إن من أقوى النظائر اللغوية الاستعمالية النظير الشعري، فهو مقبول لدى العلماء عموماً، وهو استعمال عربي فصيح، يبين لنا الطريقة التي أدى من خلالها ابن اللغة التركيب أو الكلام.

المراجع

الأحمد نكري، عبد النبي بن عبد الرسول (2000م). **دستور العلماء، جامع العلـوم في اصطلاحات الفنون،** عرب عباراته الفارسية: حسن هـاني فحـص، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى.

الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد ا (1415هـ). **روح المعاني فـي تفـسير القرآن العظيم والسبع المثاني،** تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتـب العلمية، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى.

البخاري، أبو عبد ا محمد بن إسماعيل بن إبراهيم (د.ت). **التاريخ الكبير،** دائـرة المعارف العثمانية، حيدر أباد ـ الهند، بإشراف: محمد عبد المعيد خان.

البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت (1997م). **المتفق والمفتـرق،** دراسـة وتحقيق: محمد صادق آيدن الحامدي، دار القادر، دمشق ـ سوريا، الطبعـة الأولى.

البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد (1420هـ). **معـالم التنزيـل فـي تفسير القرآن،** تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحيـاء التـراث العربـي، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى.

البيري، أبو جعفر أحمد بن يوسف بن مالك (2007م). **تحفة الأقران فيمـا قـرئ بالتثليث من حروف القرآن،** دار كنوز إشبيليا، السعودية، الطبعة الثانية.

البيضاوي، أبو سعيد ناصر الدين عبد ا بن عمر بن محمد (1418هـ). **أنـوار التنزيل وأسرار التأويل،** تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحيـاء التراث العربي، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى.

الثعلبي، أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم (2002م). **الكـشف والبيـان عـن تفسير القرآن،** تحقيق: أبو محمد بن عاشـور، مراجعـة وتـدقيق: نظيـر الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى.

الجرجاني، علي بن محمد الشريف (1978م). **التعريفات،** مكتبة لبنان، بيـروت ـ لبنان.

ابن الجزري، شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد بن يوسـف (1999م). **منجـد المقرئين ومرشد الطالبين،** دار الكتب العلمية، بيـروت ـ لبنـان، الطبعـة الأولى.

ابن الجزري، شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد بن يوسف (د.ت). **النشر فـي القراءات العشر،** تحقيق: علي محمد الضباع، المطبعة التجاريـة الكبـرى، تصوير دار الكتاب العلمية.

ابن جني، أبو الفتح عثمان (1999م). **المحتسب في تبيين وجوه شـواذ القـراءات والإيضاح عنها،** وزارة الأوقاف، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.

الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد جمال الدين (1422هـ ـ). **زاد المسير في علم التفسير،** تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربـي، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى.

الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد (1987م). **الصحاح تاج اللغـة وصـحاح العربية،** تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايـين، بيـروت ـ لبنان، الطبعة الرابعة.

ابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بـن إدريـس (1952م). **الجـرح والتعديل،** دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد ـ الهند، ودار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى.

ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد (1973م). **الثقات،** طُبع بإعانة: وزارة المعارف للحكومة العالية الهندية، تحت مراقبة: محمد عبد المعين خان، دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد ـ الهند.

ابن حجة الحموي، أبو بكر تقي الدين بن عبد ا بن علي بـن محمـد (2004م). **خزانة الأدب وغاية الأرب،** تحقيق: عصام شقيو، دار الهـلال، بيـروت ـ لبنان، ومكتبة البحار، بيروت ـ لبنان.

حسان، تمام (1973م). **اللغة العربية معناها ومبناها،** الهيئـة العامـة المـصرية للكتاب، القاهرة – مصر.

الحسن، محمد علي (2000م). **المنار في علوم القرآن الكريم مع مدخل في أصول التفسير ومصادره،** قدم له: محمد عجاج الخطيب، مؤسسة الرسالة، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى.

الحلبي، نور الدين محمد عتر (1993م). **علوم القرآن الكريم،** مطبعة الصباح، دمشق ـ سوريا، الطبعة الأولى.

الحملاوي، أحمد بن محمد (د.ت). **شذا العرف في فن الصرف،** تحقيق: نصر ا عبد الرحمن نصر ا ، مكتبة الرشد، الرياض ـ السعودية، الطبعة الأولى.

أبو حيان، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف الأندلسي (1420هـ). **البحر المحيط،** تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى.

ابن خالويه، أبو عبد ا الحسين بن أحمد (1401هـ). **الحجة في القراءات السبع،** تحقيق: عبد العال سالم مكرم، دار الشروق، بيروت ـ لبنان، الطبعة الرابعة.

ابن خالويه، أبو عبد ا الحسين بن أحمد (د.ت). **مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع،** مكتبة المتنبي، القاهرة ـ مصر.

درويش، محيي الدين بن أحمد مصطفى (1415هـ). **إعراب القرآن وبيانه،** دار الإرشاد للشئون الجامعية، حمص ـ سوريا، ودار اليمامة، دمشق ـ بيروت، ودار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، الطبعة الرابعة.

الذهبي، أبو عبد ا محمد بن أحمد شمس الدين (1408هـ). **المقتنى في سرد الكنى،** تحقيق: محمد صالح عبد العزيز المراد، المجلس العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة ـ السعودية، الطبعة الأولى.

الذهبي، أبو عبد ا محمد بن أحمد شمس الدين (1993م). **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام،** تحقيق: عمر عبد السلام التدمري، دار الكتاب العربي، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثانية.

الرازي، أبو عبد ا محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين (1420هـ). **مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير،** دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثالثة.

الرصاع، أبو عبد ا محمد بن قاسم (1350هـ). **الهداية الكافية الشافية لبيان حقائق الإمام ابن عرفة الوافية، شرح حدود ابن عرفة للرصاع**، المكتبة العلمية، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى.

الزجاج، أبو إسحاق إبراهيم بن السري (1988م). **معاني القرآن وإعرابه،** تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى.

الزركشي، أبو عبد ا محمد بن عبد ا بن بهادر (1957م). **البرهان في علوم القرآن،** تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى.

ابن الزكي، أبو الحجاج يوسف بن أحمد بن يوسف (1980م). **تهذيب الكمال في أسماء الرجال،** تحقيق: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى.

الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو (1407هـ). **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل،** دار الكتاب العربي، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثالثة.

الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو (1998م). **أساس البلاغة،** تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى.

ابن زين العابدين، عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي (1990م). **التوقيف على مهمات التعاريف،** عالم الكتب، القاهرة ـ مصر، الطبعة الأولى.

السكاكي، أبو يعقوب يوسف (1981م). **مفتاح العلوم**، تحقيق: أكرم عثمان يوسف، دار الرسالة، القاهرة ـ مصر، الطبعة الأولى.

السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم (د.ت). **بحر العلوم.**

السمين الحلبي، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن يوسف بن عبد الدائم (د.ت). **الدر المصون في علوم الكتاب المكنون،** تحقيق: أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق ـ سوريا.

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن ابن أبي بكر (2005م). **نواهد الأبكار وشوارد الأفكار، حاشية السيوطي على تفسير البيضاوي**، جامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين، ثلاث رسائل دكتوراه، المملكة العربية السعودية.

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن ابن أبي بكر (د.ت). **همع الهوامع في شرح جمع الجوامع**، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، المكتبة التوفيقية، القاهرة - مصر.

شرف الدين، جعفر (1420هـ). **الموسوعة القرآنية - خصائص السور**، تحقيق: عبد العزيز بن عثمان التويجزي، دار التقريب بين المذاهب الإسلامية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى.

الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد ا (1414هـ). **فتح القدير**، دار ابن كثير، بيروت - لبنان، ودار الكلم الطيب، دمشق - سوريا، الطبعة الأولى.

الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (2000م). **جامع البيان في تأويل القرآن**، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى.

عبابنة، يحيى عطية، والزعبي، آمنة (2008م). **علم اللغة المعاصر مقدمات وتطبيقات**، دار الكتاب الثقافي، إربد - الأردن.

عبد التواب، رمضان (1997م). **المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي**، مكتبة الخانجي، القاهرة - مصر، الطبعة الثالثة.

العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد (1996م). **تعجيل المنفعة بزوائد الأئمة الأربعة**، تحقيق: إكرام ا امداد الحق، دار البشائر، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى.

ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب الأندلسي (1422هـ). **المحرر الوجيز في تفسير القرآن العزيز**، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى.

عمر، أحمد مختار عبد الحميد (2003م). **البحث اللغوي عند العرب**، عالم الكتب، بيروت - لبنان، الطبعة الثامنة.

ابن فارس، أبو الحسن أحمد (د.ت). **الإتباع والمزاوجة،** تحقيق: مصطفى كمال، مكتبة الخانجي، القاهرة - مصر، الطبعة الأولى.

الفيروزآبادي، أبو طاهر محمد بن يعقوب مجد الدين (د.ت). **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز،** تحقيق: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة - مصر، الطبعة الأولى.

القادوسي، عبد الرازق بن حمودة (2010م). **أثر القراءات القرآنية في الصناعة المعجمية - تاج العروس أنموذجاً،** رسالة جامعية بإشراف: رجب عبد الجواد إبراهيم، قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة حلوان، مصر.

القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد سعيد القاسم (1418هـ). **محاسن التأويل،** تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى.

ابن قتيبة، أبو محمد عبد ا بن مسلم الدينوري (د.ت). **تأويل مشكل القرآن،** تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

القرطبي، أبو عبد ا محمد بن أحمد بن أبي بكر (1964م). **الجامع لأحكام القرآن،** تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة - مصر، الطبعة الثانية.

القطان، مناع بن خليل (2000م). **مباحث في علوم القرآن،** مكتبة المعارف، القاهرة - مصر، الطبعة الثالثة.

ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر البصري (1999م). **تفسير القرآن العظيم،** تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية.

الكرماني، أبو القاسم محمود بن حمزة بن نصر (د.ت). **غرائب التفسير وعجائب التأويل،** دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة - السعودية، ومؤسسة علوم القرآن، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى.

الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى (د.ت). **الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية،** تحقيق: عدنان درويش، ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت ـ لبنان.

الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد (د.ت). **النكت والعيون،** تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان.

المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد (د.ت). **الكامل في اللغة والأدب،** مكتبة المعارف، بيروت - لبنان.

المرادي، أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم (2008م). **توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك،** شرح وتحقيق: عبد الرحمن علي سليمان، دار الفكر العربي، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى.

مطلوب، أحمد (1987م). **معجم المصطلحات البلاغية وتطورها،** مطبوعات المجمع العلمي العراقي.

ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي (1414هـ). **لسان العرب،** دار صادر، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثالثة.

النحاس، أبو جعفر أحمد بن محمد (1409هـ). **معاني القرآن،** تحقيق: محمد علي الصابوني، جامعة أم القرى، مكة المكرمة ـ المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى.

النحاس، أبو جعفر أحمد بن محمد (1421هـ). **إعراب القرآن،** وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى.

النسفي، أبو البركات عبد ا بن أحمد بن محمود حافظ الدين (1998م). **مدارك التنزيل وحقائق التأويل،** تحقيق: يوسف علي بديوي، راجعه: محيي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى.

النعماني، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل (1998م). **اللباب في علوم الكتاب،** تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى.

ابن هشام، أبو محمد جمال الدين عبد الله بن يوسف بن أحمد (د.ت). **أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك**، تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر للنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان.

الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد (1994م). **الوسيط في تفسير القرآن المجيد**، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، وأحمد محمد صيرا، وأحمد عبد الغني الجمل، وعبد الرحمن عويس، قدمه وقرضه: عبد الحي الفرماوي، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى.